الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط

موسومة بـ:

العلاقات الإقتصادية بين المغرب الأوسط و أروبا

(منذ قيام الدولة الحمادية إلى سقوط الدولة الموحدية)

من إعداد الطلبة:

- سعيدات محمد أمين
- ساسي منور

الأستاذة:	سموم لطيفة	رئيسا
الأستاذ:	طويلب عبدالقادر	مشرفا
الأستاذ:	زلماط إلياس	مناقشا

السنة الجامعية

2015/2014

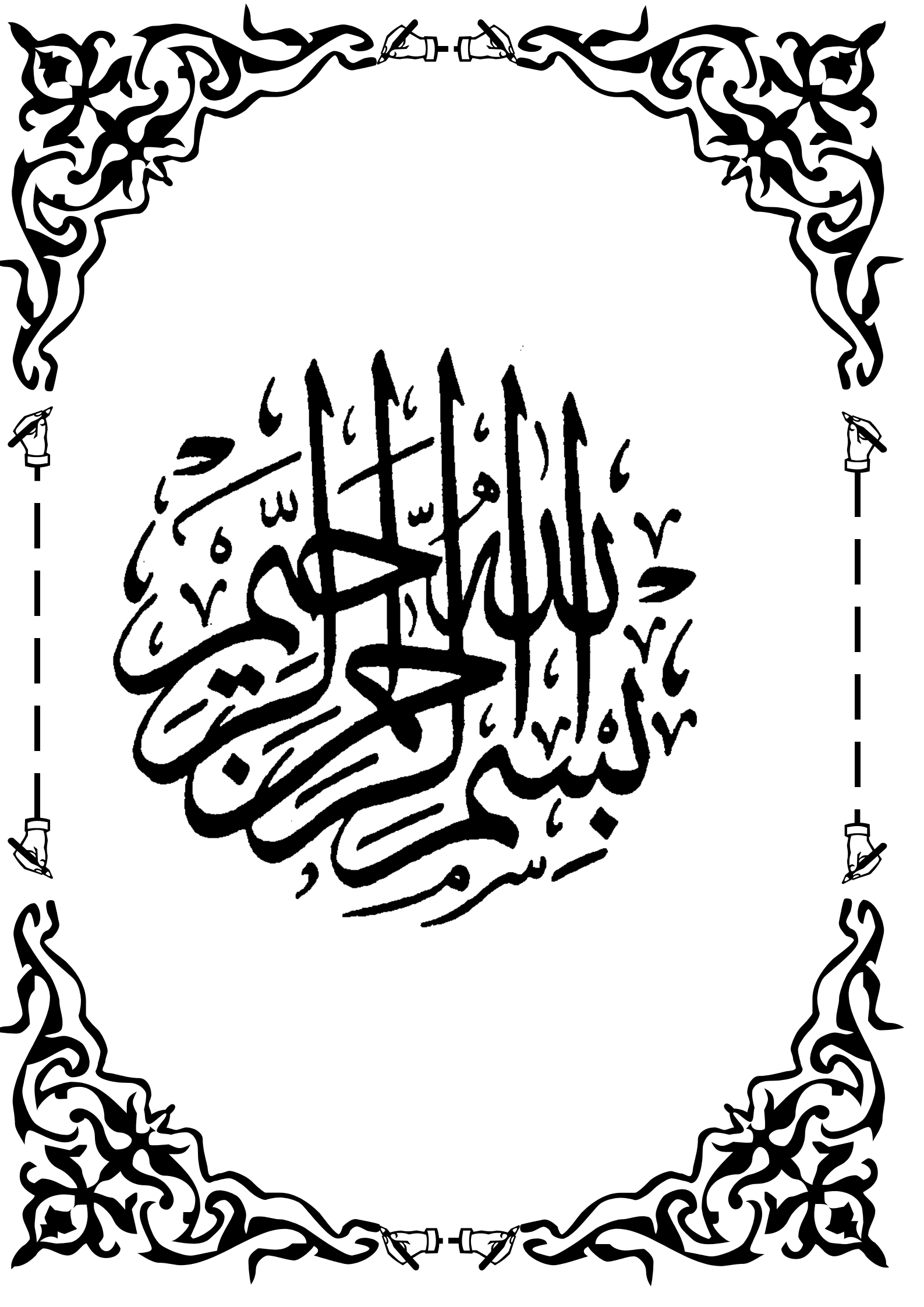
بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و هو المستحق للحمد و الثناء و نستعينه في السَراء و الضراء يا ذا الجلال و الإكرام يا ذا الفضل و الأنعام .

اللهم إني أسألك خير المسألة و الدعاء و خير النجاح و خير العلم و خير العمل و خير الثواب و خير الحياة و خير الممات و ثبتني وثقل موازيني و حقق إيماني و ارفع الدرجات و تقبل صلاتي و اغفر خطايانا و أسألك العلا من الجنة .

اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزودني علما يا شكور يا عليم أحمدك اللهم على كل حال .و أعوذ بك من حال أهل النار .

إهداء

إن اللسان يعجز عن التعبير والقلم لا يكتب ما تنويه العقول ، فإن كتبنا لا نعطي حق الوالدين لأن حقهم فوق كل شيء وإننا نهدي ثمرة جهدنا المتواضع إلى أعز إنسان في الوجود، الوالدتين –مامة– بختة– حفظهما الله التي كانتا لنا السند المعنوي و المادي في حياتنا.

و إلى الأبوين –عبد القادر–محمد–أبقاهما الله لنا، لولاهما ما وصلنا إلى ما نحن عليه.

فكانوا هم الأخران الداعم لنا والسند في كل حياتنا.

والإخوة مولاي –مختارية و–وئام –

و الكتكوتة الغالية –أحلام–

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ونخص بالذكر قسم التاريخ، على ما بذلوه من جهد و مساعدتهم لنا في بلوغ هذا العمل المتواضع.

والشكر الجزيل للأستاذ **طويلب عبد القادر** على مساعدته لنا فكان لنا شرف الالتقاء به والاستفادة من خبرته

كما نتقدم بالشكر إلى الأستاذ **سموم لطيفة** رئيس لجنة المناقشة على قبوله مناقشة المذكرة،

هذا ولا ننسى الأستاذ **زلماط إلياس** الذي قبل مناقشة المذكرة

كما نشكر **عيسى** اللأخ والصديق على مساعدته و دعمه

كما نشكر كل من ساهم في إتمام هذه المذكرة ولو بالكلمة الطيبة

قائمة المختصرات:

ت :توفي.

تح :تحقيق.

تر :ترجمة.

ج :الجزء.

ص :الصفحة.

ط :الطبعة.

مج:المجلد

مر :مراجعة.

ق :قرن.

دط :دون طبعة.

دت :دون تاريخ.

مقدمة

كانت للمغرب الأوسط علاقات وروابط مع مختلف الاقطار وفي مختلف المجالات السياسية ،الاقتصادية والثقافية ،سواء مع المغرب الأقصى والأدنى أو مع السودا المغربي وكذا مع المشرق المغربي واوربا المسيحية ، وكانت العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأقصى وأوربا بارزة ،ويظهر ذلك جليا من خلال النشاط التجاري والحركة الاقتصادية بين القطرين وفي هذا الإطار يشرح بحثنا الذي يعالج موضوع العلاقات الاقتصادية بين المغرب الاوسط واوربا– منذ قيام الدولة الحمادية الى سقوط الدوبة الموحدية ، حيث تعتبر هذه الفترة الأبرز في تاريخ العلاقات

وللموضوع أهمية كبيرة لانه يسلط الضوء على الحياة الاقتصادية في كل من المغرب الاوسط و اوربا وللواقع التجاري باعتبار ان الاقتصاد من الاساسيات التي تقوم عليها الدول ، وهذا من الاسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع اضافة الى الطابع المميز الذي تكتسبه هذه الدراسات باعتبار انها بين العالم الاسلامي واوربا المسيحية .

ولعل الاشكالية التي تتبادر الى الذهن عند دراسة هذه المواضيع هي :

- فيما تكمن وتتجسد العلاقات الاقتصادية بين القطرين؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية عدة تساؤلات منها:

- كيف كانت الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط؟
- وفيما تكمن أهمية المبادلات التجارية بين البلدين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي عبارة عن لمحة عامة عن المغرب الأوسط تطرقنا فيه الى الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط ثم تأسيس الدولة الحمادية والمرابطية والموحدية ، ويليه ثلاث فصول :

حاولنا في الفصل الأول ابراز العلاقات الإقتصادية بين الدولة الحمادية واوربا وتحدثنا عن واقع الاقتصاد عند الحماديون والعوامل المساعدة على قيام الفلاحة والصناعة وأهم المحاصيل والمنتوجات والمبادلات التجارية مع اوربا.

كما حاولنا في الفصل الثاني ، ابراز العلاقة الاقتصادية للدولة المرابطية مع اوربا من خلال الجوانب الاقتصادية للدولة والتجارة الخارجية وبيان الطرق البحرية التي تربط دولة المرابطين واوربا وتطرقنا كذلك الى العلاقة الاقتصادية مع الممالك النصرانية.

أما الفصل الثالث بينا فيه العلاقة الاقتصادية للدولة الموحدية مع المماليك النصرانية وأبرزنا أهم المبادلات التجارية من صادرات وواردات كما تطرقنا ايضا الى أهم الاتفاقات والمعاهدات الاقتصادية والتجارية بين الموحدين واوربا ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل اليها حول الموضوع .

وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على السرد وذكر المعلومات وتحليلها ،وذلك بعد الوقوف على اهم المصادر المتعلقة بالموضوع وتحليل المعلومات ،و الاحداث ومناقشتها والتحلي بالدقة والموضوعية قدر الامكان.

دراسة المصادر :

- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808 هـ/1405م) في كتابه ديوان العبر والمبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، اذ يعتبر مصدر هام ذلك ان صاحبه عاش فترة من الزمن وقد تضمن معلومات قيمة حول تأسيس الدول والمراحل التي مرت بها .
- الادريسي محمد بن الادريسي المعروف بالشريف الادريسي (ت 558 هـ/1163م) في كتابه "صفة المغرب" الذي هو جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " جاء فيه وصف لسواحل وموانئ المغرب الاسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا.
- البكري ابي عبيد (ت 487 هـ/1094م) "كتاب المسالك والممالك" في الجزء المسمى "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" يعطي للباحثين مادة تاريخية موثوقة ودقيقة عن القرن 5هـ/11م من وصف

لموانئ المغرب الأوسط وعن الوضعية الإقتصادية أيضا وهو من الرحالة الذين اهتموا بوصف المراكز الحضارية الحمادية المختلفة

- كتاب "الاستبصار في عجائب الامصار " لمؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الذي عايش الموحدين حيث كانت وفاته حوالي (ت 588 هـ/1192م) وتكمن أهمية كتابه في ذكر المنتوجات الزراعية والصناعية التي تميز بها المغرب الأوسط

- أحمد بن محمد المقري التلمساني في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" (ت 1011 هـ/1631م) وهو كتاب مهم وقد اعتمدنا عليه في استنتاج بعض الأمور الاقتصادية المتعلقة بالمغرب الأوسط

- عبد الواحد المراكشي في كتاب "المعجب في تلخيص اخبار المغرب" يعالج تاريخ المنطقة في عهد الموحدين وهو مهم في تاريخهم باعتبار انه عاصرهم وقد ضمن معلومات ساعدتنا في الجانب الجغرافي والاقتصادي اضافة الى بعض كتب الرحالة مثل ابن حوقل في كتابه "صورة الارض" وكتاب " تاريخ المغرب في العصر الوسيط" للسان الدين ابن الخطيب ،كما أسهمت بعض الدراسات الحديثة بشكل كبير فهي لا تقل أهمية عن قيمة المصادر القديمة لارتكازها على التحليل والمقارنة من ابرزها كتاب "الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها" لرشيد بورويبة وكذلك كتاب "دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر"لعبد العليم عويس وإسماعيل العربي في "دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية.

اضافة الى بعض الرسائل الجامعية،موسى يعام "الجيش في العهد الحمادي " وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير – جامعة الجزائر – ورسالة رضا بن النية بعنوان " صنهاجة المغرب الاوسط منذ الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين الى مصر " والتي افادتنا في الصناعة الحربية في الدولة الحمادية اضافة الى الاقتصاد عند المرابطين .

حاولنا في دراستنا هذه تقديم ابرز التفاصيل حول اقتصاد المغرب الأوسط منذ قيام الدولةالحمادية الى سقوط الموحدين ،وباعتبار ان تاريخ الفترة طويل وحافل بالأحداث ليس بإمكاننا الالمام بجميع جوانب الموضوع وهذه اولى الصعوبات التي واجهتنا وكذلك قلة المعلومات في الجانب الإقتصادي لهذه الدول.

فأغلب الدراسات تحدثت عن الجانب السياسي وقد تطلب استنباط هذه المعلومات في ما وجد في كتب الرحالة الى جانب ما أورده بعض المؤرخين في كتاباتهم العامة.

الفصل التمهيدي:

لمحة عن جغرافية ودول المغرب الأوسط

المبحث الأول: الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط.

إن الدراسة الجغرافية ضرورية لفهم تاريخ أي منطقة و دراسة جغرافية المغرب الأوسطأكثر ضرورة في فترة العصور الوسطى خصوصا و إن الحياة القبلية آنذاكتتأثرتأثيرا كبيرا بالبيئة و الحياة القبلية و هي العصب في المغرب ككل[1].

فقد اختلف المؤرخون و الرحالة في ضبط حدود المغرب الأوسط خاصة الشرقية منها, فقد كان نهر ملوية يمثل الحد الطبيعي الذي يفصلها عن بلاد الغرب الأقصى, ويذكر ابن خلدون إن المغرب الأوسط تجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة و المدية ومتيجة وما يليها إلى بجاية وهو يعني بهذا نهر الشلف[2] وهو الحد الشرقي لبلاد المغرب الأوسط وقد سانده الكثير من المؤرخين في هذا الرأي.[3]
والمغرب الأوسط يقع وسط المغربين الأدنى والأقصى و يشرف على واجهة بحرية كبيرة بحيث يمتد من حدود إفريقية الغربية "غرب تونس" حتى مصب نهر ملوية و يحده شمالا البحر المتوسط وجنوبا بلاد السودان و مملكة غانا الكبرى.[4]

وقد كانت هذه الحدود في تغير دائم تتمدد و تتقلص حسب قوة الدولة التي تحكم المنطقة فقد نقل عنالتنسي أن حدود دولة إدريس الثاني إمتدت إلى نهر الشلف[5].

---

[1] شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى 1830 (تر) محمد مزالي البشير , الدار التونسية للنشر ,تونس 1830 ص:6.

[2] نهر الشلف : نهر بالغرب مشهور بالقرب من مليانة وعليه آثار مدينة أزلية فيها آثار أولية كانت تسمى الشلف وإليها ينسب النهر, (أنظر) محمد ابن عبد المنعم الحميري, الروض المعطار في خبر الأقطار,(تح) حسان عباس مطابع هيدلبرغ بيروت 1975 ،ط1،ص:343.

[3] .عبد الرحمان ابن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ، و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج6 دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2006 .ص:129.

[4] أندري بيرنيان, إيف لاكوست, الجزائر بين الماضي و الحاضر (تر) إستنبولي رابح, منصف عاشور, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1984 ص: 13.

[5] رضا بن النية, صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر, (رسالة ماجيستير), جامعة منتوري قسنطينة 2006 ص :48.

ويمثل نهر الشلف الحدود الغربية لدولة الاغالبة [1] إلا أن اليعقوبي لذي عاصر هذه الدولة يذكر في كتاب البلدان ان قبيلة أوربة التي تمثل آخر مدن الزاب هي آخر أعمال بني الأغلب, وكانت مدن ميلة و سطيف تدخلَ من إطار دولة الأغالبة , ومن أمرائها علي عهد عبد الله الشيعي.[2]موسى بن عياش على ميلة و علي بن عسلوجة على سطيف يتبعون القيروان مركز إمارة بني الأغلب[3].

وقد عرف تاريخ الجزائر في فترة ما بين منتصف القرن الثاني و مطلع القرن العاشر الهجري ''ق9م-ق16م'' وقوعه تحت حكم دويلات مستقلة عن القيروان و استمرت هذه الدويلات قائمة حتى سنة ''296هـ -909م ليدخل المغرب الاوسط ضمن الدولة الفاطمية[4]،أما بلاد كتامة فقد بدت وكانها خارجة عن سلطان الاغالبة و يتجلى ذلك في حديث وفد حجيج كتامة لابي عبد الله الشيعي حين سألهم عن سلطان الأغالبة عليهم فقالوا " مالكم علينا من طاقة ولا حكم "[5].

والدولة الرستميةبتيهرت[6] من أولى الدول التي إستقرت بالمغرب الأوسط , أسسها عبد الرحمن ابن رستم سنة 160هـ أو 162هـ ' وتعاقب على حكمها بنوه من بعده إلى غاية سقوطها

---

[1] نسبة إلى مؤسس هذه الدولة إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/ 687م, سقطت على يد الفاطميين سنة 207هـ/800م, ينظر ابن وردان:تاريخ مملكة الأغالبة (تح) محمد زينهم محمد عزب, , مكتبة مديولي،القاهرة, 1988،ط1.ص: 78.

[2]أبو عبد الله الشيعي: هو الحسن أو الحسين بن أحمد بن زكريا, أصله من الكوفة , كان محتسبا بسوق الغزل في البصرة, اشتهر باسم المعلم لتعليمه الناس مذهب الإمامة, وقد عرف بالداعي لأنه هو الذي اهتم بالدعوة الشيعية الإمامية , ويعد المؤسس الفعلي للدولة العبيدية سنة 279هـ, قتل على يد عبيد الله المهدي سنة 298هـ (ينظر) علي الحسني الخربطولي:أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية, , المطبعة الفنية الحديثة ،مصر 1972 ،د ط, ص :29 .

[3]. جودت عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و 4هـ/ 8 و11 م , ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر ص: 15 .

[4]عصام الدين عبد الرؤوف الفتي: تاريخ المغرب و الأندلس, مكتبة نهضة الشرق, القاهرة، 1982 ص ص:16, 17 .

[5]سعد زغلول عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين, ج2،دار المغرب الاسلامي لبنان , ص:291.

[6]تيهرت أو تاهرت , بفتح الهاء و سكون الراء, وتاء فوقها نقطتان, إسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب , يقال لاحداها تاهرت القديمة وللاخرى المحدثة, بينها و بين المسيلة ست مراحل, وهي بين تلمسان و قلعة بني حماد , بناها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ, ينظر شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي:معجم البلدان ج2, دار صادر بيروت 1977 , ص ص 18.,17.

269هـ/909م على يد الفاطميين[1]، وبسقوط الدولة الرستمية, إنفتح الباب على مصراعيه لنفوذ الدولة الفاطمية على كامل تراب المغرب الأوسط, فأصبح جزءا منها يخضع لقوانينها ونظمها[2].

وفي تلمسان[3] كانت إمارة بني يفرن بزعامة أبي قرة حتى سنة 170هـ , ثم انتقلت إلى محمد بن خزر المغراوي, حين قضى عليها إدريس الأول سنة 199هـ خرج إدريس الثاني لتثبيت حكم الأدارسة عليها , ثم قسمت إلى إمارات على يد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[4]وقبل رحيل الفاطميين إلى مصر, كان المعز لدين الله الفاطمي قد عقد لبلكين بن زيري الصنهاجي على بلاد المغرب وبذلك تأسست الدولة الصنهاجية سنة 361هـ/ 972م.[5]

وقد استمرت حدود المغرب الأوسط في مد وجزر بين القوى العباسية المتصارعة, وهذا ما صعب ضبط الحدود الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط,فقد كانت تخضع لنفوذ أي دولة تقوم بها حسب قوتها, فتضمها إليها بقوة السيف وهذا الأخير هو الذي يضع الحدود الجغرافية لأي دولة[6].

---

[1] محمد عيسى الحريري :الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160هـ, 269هـ), دار القلم, الكويت ،1987،ط2, , ص : 82.

[2] سعد زغلول عبد الحميد:المرجع سابق, ص : 293.

[3] تلمسان, قاعدة المغرب الأوسط, وحدة من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول الصحراء, وكانت تلمسان دار مملكة زناتة , وهي كثيرة الخصب, وتجمع بيت التل و الساحل ومنه اشتق اسمها, تملكها الأدارسة وهي مدينة علم و علماء, ينظر , محمد عيسى الحريري :المرجع السابق ،ص:135.

[4] جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق, ص :6 .

[5] محمد عيسى الحريري : المرجع السابق, ص: 192 .

[6] المرجع نفسه،ص:193

المبحث الثاني: تأسيس الدولة الحمادية.

يعتبر حماد [1] المؤسس الحقيقي للدولة الحمادية ،حيث ينتسب الى قبيلة صنهاجة من بطن تلكانة[2] و هو أحد أبناء بلكين بن زيري والي الفاطميين في بلاد المغرب [3] .

لم يظهر حماد على الساحة السياسية الا بعد موت أبيه بلكين و تولى أخوه المنصور أمور البلاد في سنة (373 هـ / 984 م) [4] فعقد المنصور لاخيه حماد على أشير [5] و كان يتداولها أخيه يطوفت .[6] لما توفي المنصور سنة (386هـ / 996 م) خلفه ابنه باديس على العرش حيث كان باديس صغير السن عند موت أبيه ،[7] و بما أن المغرب الأوسط بعيد نسبيا عن عاصمة بني زيري أولى باديس أعمال الجزائر لحماد و أقطعه مدينة أشير و ضواحيها و منحه لقب نائب الأمير و أمده الخيل و السلاح ، في هذه الفترة برز دور حماد باخماد الثورات كزحف زيري بن عطية في جموع هائلة من زناتة على مدينة تاهرت سنة (389 هـ / 989 م) التي كانت تحت امرة يطوفت عم باديس فنزل بها زيري بن عطية و حصرها فكتب يطوفت الى ابن أخيه باديس طلبا للمساعدة فاستجاب له و بعث اليه جيشا قويا . [8] و في سنة 390 هـ ثار على باديس أعمام أبيه

---

[1] – تم التطرق لشخصية حماد باعتباره المؤسس الحقيقي لدولة الحماديين بالمغرب الأوسط

[2] – تلكانة : و هي قبيلة بربرية تولت حكم افريقية و المغرب الأوسط نيابة عن الفاطميين ، بوزيان الدراجي : القبائل الأمازغية (أدوارها – مواطنها – أعيانها) ج 2 دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، الجزائر 2007 ، ص ص 55 56

[3] – رشيد بورويبة : الدولة الحمادية ، تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 ص :06 .

[4] – عبد الحليم عويس : دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر ، شركة سوزان للنشر و التوزيع ، القاهرة 1991،ط2 ص:54

[5] – أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب من طرف افريقية الغربي ، مقابل بجاية في البر و اول من عمرها زيري بن مناد و كان سيد هذه القبيلة في أيامه و شرع في بنائها سنة (324 هـ /925 م) ، ياقوت الحموي:المصدرالسابق،ص ص:203،202.

[6] – يطوفت بن بلكين بن زيري الصنهاجي ولاه العزيز بالله الفاطمي نزار بن المعد على أشير سنة 373 هـ . عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت لبنان ، 1980 ط2 ص :354 .

[7] – لسان الدين الخطيب : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تح و تع أحمد مختار العبادي و ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب دار البيضاء 1964 ص 69 .

[8] – لسان الدين ابن الخطيب :المصدر نفسه ،ص:69.

ماكسن و زاوي و جلالة و مغنين و عزم [1] و تمكنوا من الاستيلاء على أشير و نهب خيراتها التي كانت تحت حكم عمه و بما أن باديس كان مشغولا باخماد ثورة افريقية فأمر حماد بقمع ثورة أعمام أبيه ووقعت حرب شديدة بين ماكسن و حماد في 390 هـ و انتهت في اخر الأمر بانتصار حماد و مقتل ماكسن ، أما اخوته فرحلوا الى الاندلس و طلبوا الأمان من باديس [2] و في 12 رمضان 391 391 هـ توفي قائد زناتي بن عطية فتفرغ باديس لمحاربة فلفول بن سعيد و لتحقيق ذلك استدعى حماد الى القيروان لمساعدته [3] عندما رحل حماد الى القيروان في 396 هـ وجد المعز بن زيري بن عطية عطية فرصة الى الاستيلاء على المغرب الأوسط بعدما التف حوله بطون زناتة بني خزر و مغراوة و زحفوا على المغرب الأوسط و تمكنوا من محاصرة مدينتي مسيلة و أشير [4] فكلف باديس حماد بالذهاب لرد الزناتيين مقابل جعله واليا على أشير و المغرب الأوسط و جميع المدن التي يقتحمها من بلاد زناتة و غيرها خارج نطاق الدولة الزيرية[5].

في نفس السنة خرج حماد لطرد خصومه في جيش لا يحصى [6] وليس هناك معلومات مفصلة مفصلة حول المعركة المهم أن حماد طرد خصومه من المغرب الاوسط واضطر المعز بن زيري بن عطية مغادرة المغرب الأوسط والعودة الى المغرب الأقصى[7].

بهذه الانتصارات التي حققها حماد ضد خصومه من زناتة وأفراد أسرته ساعدته في بناء القلعة فقام باختطاطها سنة 398 هـ بجبل كتامة بمكان يسمى ابي طويل[8]. و جلب الصناع و البنائين و النجارين و غيرهم من مختلف الانحاء و شرع في بناء المدينة التي استغرق العمل فيها حوالي ثلاث

[1]– الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى ال قرن12 م ج2، تر حمادي الساحلي، دار الغرب اللإسلامي، بيروت، لبنان ،1992، ص :132.

[2] – رشيد بورويبة ، المرجع السابق ص :19 .

[3]– الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص: 133.

[4]– لسان الدين الخطيب: المصدر السابق ص: 71.

[5]– عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق :131.

[6]– لسان الدين الخطيب: المصدر السابق، ص: 73

[7]– رشيد بورويبة : المرجع السابق، ص: 20 .

[8]– لسان الدين الخطيب: المصدر السابق، ص74.

سنوات في مساحة تمتد على 40 هكتار و أحيطت بسور من الحجارة [1] . تم الانتهاء من بنائها سنة 400 هـ فاستكثر فيها المساجد والمدارس والاسواق والفنادق ولم تلبث ان تسعى العمران وازداد عدد السكان فيها وأصبحت مقصدا لطلاب العلم والعلماء والفنانين والتجار وهؤلاء شكلوا فئة من سكان القلعة لهذا عرفت ازدهارا تجاريا [2]

بهذا تمكن حماد من تأسيس أول دولة صنهاجية بربرية مستقلة بالمغرب الأوسط تعرف بدولة بني حماد.

[1]- اسماعيل العربي: دولة بني حماد (ملوك القلعة وبجاية) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982 ص: 121.

[2]- عبد الرحمان ابن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1 دار الثقافة، بيروت لبنان 1400 هـ 1980 م ص 29 – ينظر لسان الدين الخطيب، المصدر السابق، ص: 75.

المبحث الثالث: تأسيس دولة المرابطين.

عاش المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، بداية تحول تاريخي عظيم سيؤدي إلى تغيير مجرى تاريخ المنطقة وهذا التحول التاريخي ستقوم به قبائل صنهاجة اللثام بانتمائهم لدولة المرابطين[1].

تسمية الملثمين:

عرفت قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة بالملثمين لإتخاذهم اللثام شعارا لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب ، فكانوا يتخذون اللثام منذ طفولتهم فيعتقدون أن ظهور الفم سوءة كما يذكر ابنه حوقل في كتابه صورة الأرض " الفم سوءة تستحق الستر كالعورة "[2] فكانوا لا يتركون اللثام ليلا ولا نهارا فيقول البكرى " لا يفارقون ذلك اللثام في حال من الأحوال "[3]ولا يعرفون بعضهم إلا به ولا يميز رجل من وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب وكذلك في المعارك إذا قتل أحدهم وزال عنه قناعه لا يعرفونه حتى يعاد عليه القناع وهم يسمون من خالف زيهم من جميع الناس أفواه الذبان[4].

والرجال هم فقط الذين يتلثمون أما نساءهم فهن حواس الوجوه ويبدوا أن العرب هم الذين أطلقوا عليهم هذه التسمية وقد ذهب المؤرخون والرحالة الى مذاهب شتى في تفسير أسباب اتخاذهم اللثام ومن ذلك ما ذكره ابن خلكان من أن اللثام كان سنة لهم يتوارونه خلفا عن سلف وفسر ذلك بأمرين:

1. أنهم كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد ثم قلدهم العامة.
2. أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون معقلهم عند غيابهم فيأخذون أموالهم ويسبون حريمهم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن تتخذ النساء زي الرجال ويرسلونهم في ناحية، وأن يجلس

[1] ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص :123.

[2] ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،1996: ص:99.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: 170.

[4] ابن حوقل: المصدر السابق، ص:101.

الرجال في البيوت متلثمين في زي النساء، فإذا أتاهم العدو وظنوهم نساء خرجوا إليهم، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو[1].

وذكر اللثام على أنه نوع من السحر، أو أن له أسباب سياسية، أو يحتمل أن هذه القبائل كانت تتخذه في الأعراس ثم أصبح عادة[2].

ومن المحتمل أن يكون اللثام اتخذ في أول الأمر للحماية من الغبار، ومن حر الصحراء فتوارثه الأبناء عن الآباء حتى صار عادة بمرور الزمان[3].

ويرجع هذا الرأي لان بدو الصحراء في شبه الجزيرة العربية يتلثمون لهذه الأسباب[4].

وتميزت قبيلة جدالة بكثرة العدد بينما اشتهرت قبيلة مسوفة بقدرتها العسكرية وبأن أفرادها أجمل البربر صورا[5].

وكانت مضارب هذه القبائل تتمركز في شمال افريقيا في صحاري المغرب وسهوله ولكنها أخذت منذ القرن الثالث ميلادي تهجر مواطنها متجهة صوب الغرب ثم باتجاه الصحاري ويشير ابن خلدون الى ذلك بقوله " وهذه الطبقة من صنهاجة هم المتلثمون الموطنون بالقصر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولهما الصحراء عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلال وجفوها "[6].

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 7، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968، ص: 129.

[2] البكري: المصدر السابق، ص: 171.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق، مج 10، دار الكتب العلمية، لبنان، ص:156.

[4] ابن الأثير: المصدر نفسه، ص: 157.

[5] البكري: المصدر السابق، ص:173.

[6] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص: 373.

رباط عبد الله بن ياسين:

أراد عبد الله بن ياسين ان يرحل إلى بلاد السودان، ولكن الأمير يحي بن عمر تمسك به وأشار علية بمكان بعيد حيث يمكن الاعتزال والتعبد فيه فوافقه الشيخ الفقيه على ذلك خاصة وأن هذا الرأي وجد فيه هوى نفسه الميالة إلى حياة الربط وتعود الحياة فيها ذ أنه أخذ العلم وتفقه في الدين[1].

وكان المسلمون يرون المرابطة نوعا من أنواع الجهاد سواء جهاد العدو أو جهاد النفس فتسابقوا إلى الرباط للدفاع عن المسلمين ولتلقي العلم أيضا وأصبح يدرس فيها الفقه والحديث وفي هذا المجال ذاع صيت الرباط[2].

وقد لعب رباط وجاج بن زلو في المغرب الأقصى دورا هاما في حياة عبد الله بن ياسين لذلك رحب بما عرضه عليه الأمير يحي بن عمر من اتخاذ مكان اعيد للعبادة[3].

واختلف المؤرخون في تحديد الموضع الذي لتجه إليه عبد الله ابن ياسين وأقام فيه رباطه فيقول فريق منهم أنه جزيرة في البحر يسهل الخوص فيها للوصول إليها وتركب إليها الزوارق إذا كان المد وبعضهم يذكر كلمة البحر الغربي والبعض الآخر يذكر كلمة البحر فقط ويذكرون أن الأمير يحي بن عمر اللمتوني هو الذي أشار على عبد الله بن ياسين بمكان هذه الجزيرة[4].

ويرى الدكتور حسين مؤنسه أن رباط عبد الله بن ياسين كان على حدود الصحراء فيما يلي تارودنت إلى الجنوب معتمدا على ما ذكره كل من البكري وصاحب الاستبصار من أنه يوجد على مصب وادي ماسة رباط مشهور ومقصود[5].

---

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 124.

[2] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 69.

[3] جودت عبد الكريم: المرجع نفسه، ص:70.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 124.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص: 126

وأشار ابن خلدون إلى موضع الرباط على ربوة يحيط بها النيل من جهاتها " ضحضاحا في الصيف وغمرا في الشتاء فتعود جزرا متقطعة[1].

وبعدها باشر يحي بن عمر القتال وأمضى للحرب بنفسه، فقام عبد الله بن ياسين فأدَّبه، لأنه اعتبَرَها خطوة متهورة وعدم ضبط للنفس، خصوصا وأن الرجال المرابطين كانوا غير مستعدين للمنازلة. لكن عندما رأى ابن ياسين أنه استكمل التدريب وجهز العدة، تحرّك بالمرابطين أولاً صوب قبيلة جداله، حيث اشتبكوا معهم وهزموهم وانقاد من تبقى منهم لدعوة عبد الله بن ياسين، ثم ساروا إلى قبيلة لمتونة فقاتلوهم وانتصروا عليهم، ودخلوا في طاعة المرابطين، ثم مضوا إلى قبيلة مسوفة فدخلت تحت لوائه وبايعوه، فلما شهدت باقي قبائل صنهاجة هذه الأحداث بادرت إلى مبايعة عبد الله ابن ياسين، وقلدتها كثير من قبائل الصحراء في ذلك[2].

وصوب المرابطين أعينهم على امبراطورية غانا لاسترجاع اوداغست، التي كان يسيطر عليها صنهاجة في حلفهم السابق، فتوجهوا إلى الشرق نحو منحنى النيجر سنة 447هـ 1056م، وخاضوا معركة قاسية توفي خلالها يحي بن عمر[3] وانتصر المرابطون في الأخير، واستولوا على اودغست وتوسعوا جنوبا في بلاد غانا حتى وصلوا ديار التكرور[4].

وفي نفس السنة اتجه المرابطون الى بلاد السوس بحيث كتب فقهاء سجلماسة ودرعة إلى ابن ياسين يُرغِّبونَه مساعدتهم للتخلص من حكامهم زناتة المغراويين وأميرهم مسعود بن واندين، فاستشار ابن ياسين مجلسه، فكان القرار بالإجماع على مد يد المساعدة لهم، وقالوا له: أيُّها الشيخ الفقيه، هذا ما يلزمنا فَسِرْ بنا على بركة الله[5].

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق ص: 374.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص: 79 80

مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار

[3] البيضاء،1979، ص:23.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص:127.

[5] البكري: المصدر السابق، ص: 167.

فخرجت جموع المرابطين في شهر صفر سنة 447هـ الى بلاد درعة، وعدتهم ثلاثون ألف جمل. تصدى لهم المغراويين، وانتهت المعركة بهزيمة المغراويين[1] ومصرع مسعود وتشتت جيشه، فدخل ابن ياسين سجلماسة وعين عليها عاملاً من لمتونة وحامية مرابطية وهي قاعدة أنشئها قرب سجلماسة تعرف باسم مدينة تبلبالة، ثم عاد إلى الصحراء.[2]

عندما استقر جيش المرابطين الضخم بمدن اغمات واوريكة، اشتكى شيوخ تلك المدن إلى الأمير ابوبكر من ضيق المكان وكثرة الخلق وصعوبة العيش على تلك الحال، وهنا تم وضع أساس مراكش سنه 462هـ 1069م،[3] وشرعوا في بناء الدور، وفي وفي عام 463هـ 1070م، استخلف الامير ابوبكر ابن عمه يوسف بن تاشفين مكانه على المغرب، فأكمل يوسف بناء مراكش وحصنها وأعانته القبائل في ذلك[4].

[1] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، ج4 ص:13.

[2] البكري: المصدر السابق، ص:169.

[3] ابن عذارى المراكشي المصدر السابق، ج4، ص ص:19،20.

[4] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، مصدر سابق ،ص ص:15، 16.

المبحث الرابع: تأسيس دولة الموحدين.

إن لقيام أي دولة في العصر الوسيط شخصية تبرز على الساحة السياسية والاجتماعية، والموحدون هي فكرة محمد ابن تومرت المهدي، وحتى وإن لم يكن عبد الله بن ياسين؟ يفكر في تأسيس الدولة منذ البداية إلا أن ابن تومرت فكر في تكوين دولة على أنقاض الدولة المرابطية وهي في أوج مجدها.

وقد بدأت فكرة تأسيس الدولة تراوده وهو في الإسكندرية، وظلت تراوده في رحلته الطويلة وتوقفه في العواصم حتى مدينة فاس، وقد كان يطرد من كل هذه العواصم التي ينصب نفسه فيها آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر[1].

أما نسبه فاختلف المؤرخون في تحديد نسب ابن تومرت فبعضهم قال أنه عربي وينتمي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة من زوجها علي رضوان الله عليهم والبعض الآخر يجعل نسبه بربريا صرفا والبعض الآخر يجعل نسبه مختلفا بين البربر والعرب و المتتبع لتاريخ ابن تومرت يدرك أنه لم يظهر ادعاءه النسب القريشي دفعة واحدة بل تدرج في طلك حتى يضمن قبول الناس له[2].

ويذهب ابن خلدون إلى إثبات نسبه بقوله " وأما إنكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعضده حجة له، مع أنه إن ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه، فلا دليل يقوم على بطلانه لأن الناس مصدقون في أنسابهم "[3].

وقول ابن خلدون فيه نظر لأن مؤرخي الإثبات والثقات اثبتوا أن محمد تومرت كان يتجه إلى الكذب والدجل من أجل الوصول إلى أهدافه التي كان يسعى إلى تحقيقها[4].

---

[1] عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2 دار الغرب الاسلامي بيروت 1426هـ ط1 ،ص :176.

[2] علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين) دار البيان للنشر، عمان، 1992ص، ص: 6 ،7.

[3] ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت ،2007، ص: 26.

[4] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص: 9.

وأما تاريخ ميلاده فقد ذكر المؤرخون عدة روايات تدل على اختلافهم بتحديد سنة ولادته وهذا ما خلق نوعا من الصعوبة في الوصول إلى تاريخ مولده بالضبط[1] فمنهم من قال 485 هـ[2] وهناك من قال 469 هـ[3] وهناك من خالفهم في تحديد سنة مولده.

وبجدر الإشارة إلى أنه ينبغي علينا أن نفرق بين مرحلتين في حياة الموحدين بعد وفاة المهدي، أولا مرحلة تأسيس الدولة والثانية مرحلة بناء الدولة، إن المرحلة الأولى هي استمرار لحياة ابن تومرت السياسية فواصل بعده عبد المؤمن بن علي قتال المرابطين حتى أسقط دولتهم، والثانية هي طور بناء الدولة وتكوين نظمها وفي هذه المرحلة بالضبط نقل عبد المؤمن بن علي الحكم إلى أسرته.

وكما هو معلوم أن المؤسس الفعلي للموحدين هو المهدي محمد بن عبد الله بن تومرت وبوفاته تولى عبد المؤمن علي القيادة وقد ورث تركة مثقلة فهزيمة البحيرة ومن ثم وفاة المهدي أثرتا على الروح المعنوية فارتدت بعض القبائل، فقام عبد المؤمن بإعادة الثقة إلى الناس فباشر الموحدون حروبهم ضد المرابطين وكان يرسل طلبته إلى القبائل لكسبهم سلميا[4].

وشغل عبد المؤمن بن علي تنظيم شؤون الموحدين مدة العام والنصف ثم شرع في الكفاح ضد المرابطين، ولم يكن له من خلافة الموحدين إلا الاسم أما الإدارة الفعلية والإشراف الكامل فقد كان لطبقات مختلفة حسب اختصاص كل منهما ولذلك لم يستطع بادئ الأمر أن يستبد بأمر من الأمور ولا أن يبث في حكم من الحكام إلا بموافقة ذوي الشأن[5].

[1] علي محمد الصلابي المرجع السابق، ص: 19.

[2] ابن خلكان: المصدر السابق، ص:52.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص:226.

[4] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خير الأقطار تح احسان عباس مؤسسة ناصر للثقافة دار السراج بيروت 1980، ط2،ص: 233 .

[5] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص: 99

وانطلق كفاح عبد المؤمن بن علي في منطقة الأطلس جنوبي مراكش في وادي درعة[1] وغيرها، ثم استولى الموحدون على مراكش عاصمة المرابطين في سنة 541هـ ،1147هـ، بعد كفاح دام أكثر من عشر سنوات كان النصر فيها حليفا للموحدين[2].

[1]وادي درعة بالمغرب الأقصى وتعرف درعة بواديها، نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب وينبعث منه جبل درن، وعلية عمارة نحو سبعة أيام وهي مدينة عامرة أهلة بها أسواق كثيرة ومتاجر رائجة وهي يوم الجمعة سوق في مواضع كثيرة وقديما كان سوقان في يوم واحد في مواضع متباينة، ينظر الحميري، مصدر سابق ص :235

[2]عز الدين عمر أحمد موسى، الموحدون نظمهم وتنظيماتهم، رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية بيروت 1969 ص: 47.

الفصل الأول:

العلاقات الإقتصادية بين الدولة الحمادية وأوربا

المبحث الأول: الفلاحة

لقد تعددت العوامل المساعدة على النشاط الفلاحي في عصر الحماديين بالمغرب الأوسط بين عوامل طبيعية وأخرى بشرية وسياسية.

العوامـل الطبيعيـة:

أثر الموقع الجغرافي للدولة الحمادية في الإنتاج الزراعي ببلاد المغرب الأوسط الذي تميز بتنوع تضاريسه ومناخه وخصوبة تربته التي تتناسب مع مختلف المزروعات[1]، لذا عرفت قلعة بني حماد حركة فلاحية نشيطة، إذ تقع بين سهول الحضنة التي ماتزال تشتهر بوفرة الإنتاج. كما أن إمتداد الأراضي الحمادية على سهول واسعة وخصبة كسهول بونة و جزائر بني مزغنة و تنس و شرشال، ساهم في تفعيل الإنتاج الفلاحي الحمادي [2].

أما بالنسبة لمصادر المياه فقد تنوعت بين الأنهار والأودية اذ ذكر صاحب الاستبصار نهر بجاية قائلا:".... لها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما وعليه الكثير من جناتهم ...."[3]

ومن الأودية ذكر ابن عذارى فقال " .....قال الرقيق ومن عجيب ما سمعناه عن مناخ وادي الشلف إن شيخا كبيرا من البربر حدثنا انه يعرف بوادي المحن...."[4]كما كانت هناك أودية موسمية في المغرب الأوسط مثل وادي مدينة تنس الذي يشرب منها السكان أيام الشتاء والربيع [5].

أما فيما يتعلق بالعيون فقد أشار إليها المؤرخون على أنها كثيرة مثلما هو الحال بالمسيلة التي قال عنها صاحب الاستبصار:"... إنما تشقها جداول المياه العذبة أما الأبار كانت توجد قرب المنازل..." [6]

---

[1] – المراكشي: المصدر السابق، ص: 257.

[2] – مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص :170.

[3] – مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر نفسه، ص: 172.

[4] – المراكشي: المصدر السابق، ص: 261.

[5] – ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 81.

[6] – مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص: 173.

العوامل البشرية والسياسية:

لعبت اليد العاملة دورا أساسيا في بروز النشاط الزراعي للحماديين خاصة وأنهم اتخذوا من الفلاحة مهنة لهم لكسب قوتهم ومصدر رزقهم، مستغلين بذلك الظروف الطبيعية في استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة، كالحبوب والخضر والفواكه. [1]

كما أن الهدوء السياسي عند الحماديين ولو نسبيا، وخلوه من المشاكل الداخلية والخارجية كان له أثر في النشاط الإقتصادي بما في ذلك الفلاحة، حيث ان السياسة الحمادية قامت إلى حد كبير على أساس البناء والإزدهار.[2] فتوفر الأمن بالمجتمع الحمادي. ساهم في إزدهار الزراعة وتطورها فتعددت محاصيلها وتحقق في الكثير من الأحيان الاكتفاء الذاتي.[3] حيث يصف الإدريسي فلاحتها بقوله: "... إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبدا الدهر شباع وأحوالها صالحة.[4]

أهم المحاصيل الزراعية:

لقد تنوعت المحاصيل الزراعية بالمغرب الأوسط على العهد الحمادي وعرفت وفرة في الإنتاج سواء كان ذلك حبوبا أو خضرا وغيرها.

الحبوب:

كانت تتصدر تلك المحاصيل الزراعية باعتبارها الغذاء الأساسي للمجتمع الحمادي و باعتبارها الإنتاج الرئيسي لهم وذلك راجع للأرض الملائمة لزراعتها خاصة المناطق الساحلية التي تمتد فيها السهول الخصبة كسهول بونة و جزائر بني مزغنة و متيجة وشرشال و بجاية . [5]

وقد عمت زراعتها في أنحاء مختلفة من البلاد بشتى انواعها من قمح وشعير وحنطة، فعن قلعة بني حماد ذكر الإدريسي أنها بلاد زرع وخصب[6].

---

[1] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص: 210.

[2] – عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص: 221.

[3] – عبد الحليم عويس: المرجع نفسه، ص: 222.

[4] – الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت، ص: 67.

[5] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص: 129.

[6] – الادريسي: المصدر السابق، ص 61.

الخضـر والفواكه :

عرف الحماديون أيضا زراعة الخضر والفواكه والتي كانت متوفرة في جميع أنحاء المغرب الأوسط وليس من السهولة الألمام بذكر جميع المغروسات التي جاد بها المغرب الأوسط في تلك الفترة وذلك أن المصادر المعاصرة لفترة الدراسة كثيرا ماتتشابه في ذكر نفس الفواكه والخضر في أكثر من منطقة ولذا سوف نقتصر على ذكر أهمها لإعطاء نظرة على هذا التنوع فعن بجاية مثلا يخص صاحب الاستبصار قائلا:" ...وفيها كثير الفواكه والثمار وجميع الخيرات ...."[1]

كما ذكر الإدريسي أن نقاوس كانت مشهورة آنذاك بالجوز الذي كان موجودا أيضا ببجاية وجيجل حيث قال عنه بالغ الطيب وحسن.[2] كما وجد السفرجل بتنس و شرشال و قد عرف المغرب الأوسط بغرس أشجار الزيتون خاصة بالمناطق الساحلية و قد اختصت عنابة بغرس شجر التمور خاصة بمدينة بسكرة التي تعتبر من أشهر مواطن إنتاج التمر فكانت تمورها من أجناس مختلفة منها ما يعرف بالكيسا و منها ما يعرف بالليازي .[3]

[1] – مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

[2] – الادريسي: المصدر السابق، ص 70.

[3] – رشيد برويبة: المرجع السابق، 132.

المبحث الثاني: الصناعة.

لقد ازدهرت الصناعة بالمغرب الاوسط على عهد الحماديين الذين عرفوا ألوان مختلفة من النشاط الصناعي بفضل عدة عوامل منها:

توفر المواد الخام التي أدت الى قيام صناعات واسعة كصناعة الحديد الذي نجدها ببونه وبجاية ومجانة وعن هذا قال الرحالة ابن حوقل:"...ان بونة مدينة متصدرة بها معادن حديد كثيرة ومنها يحمل الاقطار الغزير والكثير ..." [1] وكذلك الفضة والنحاس والرصاص بجيجل.[2]

وجود المواد الاولية التي ساعدت على بناء السفن والمراكب وغيرها كالخشب الذي ساهم بشكل مباشر في ازدهار النشاط الصناعي للدولة حيث اصبحت قاعدة للصناعات وذلك انعكس ايجابيا على النشاط البحري، اضافة الى الثروة الزراعية القابلة للتصنيع كالقطن والكتان وغيرها من المحاصيل الزراعية، إضافة إلى الثروة الحيوانية والمتمثلة في جلود الحيوانات التي استعملت لتلبية حاجيات ومتطلبات الحياة. [3]

كان الإمتداد الساحلي الذي تتمتع به الدولة الحمادية عامل من عوامل قيام بعض الصناعات حيث شيد بنو حماد ورشات على الساحل البحري في كل من بجاية وبونة متخصصة في صناعة السفن الحربية والتجارية [4]. وهذا ما جعل الادريسي يقول "....إن بجاية من الصناعات ما ليس بكثير من البلاد ولها من الصناعات كل غريبة ولطيفة ...."[5]

إضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في تطور الصناعة الحمادية خاصة في الميدان الحربي كالنكبة الأفريقية جراء الحملة الهلالية على أرضيها إبتداءا من 443 هـ قد سمح لكثير من ارباب الصناع والحرف بالنزوح صوب المغرب الأوسط للتمركز بالقلعة أو بجاية حاملين معهم خبراتهم لتوفيرها في دعم هذه الصناعة والزيادة في تنميتها [6]،كذلك نكبة أهل الميرية الأندلسية باستلاء المرابطين على أمرائهم

---

[1] – ابن حوقل: المصدر السابق، ص: 77.

[2] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص: 136.

[3] – عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص:124 .

[4] – عمار عمورة : الموجز في تاريخ الجزائر،دار ريحانة،2002 ، ص: 61 .

[5] الادريسي: المصدرالسابق :ص: 260.

[6] موسى يعام :الجيش في العهد الحمادي (504هـ -547/1014-1125)رسالة لنيل شهادة المجيستير ،جامعة الجزائر 2000-2001،ص: 525.

وذلك سنة456هـ /1091م،وإتجاه الكثير من أهلها صوب المغرب الأوسط فأفادوا واستفادوا، إذ كانت خبراتهم الحرفية في بناء السفن الحربية والمدنية وغيرها من الصناعات المتنوعة [1].

و أدت التشجيعات المادية التي قدمها الحكام الحماديون للحرفيين والصناع لاسيما في عهد الناصر ابن علناس الى تطوير بعض الصناعات كصناعة الخزف والفخار وغيرها، وهذا الدعم والتشجيع دفع بالحماديين إلى العمل والابتكار الفني [2].

إضافة إلى هذه العوامل، لعب عامل الاستقرار الأمني والوحدة السياسية التي عرفتها الدولة الحمادية وسياسة المسالمة التي كانت تتخذها مع جيرانها، دورا في تشجيع الحرفيين والصناع لممارسة نشاطهم بكل حرية، وهذا ما أدى إلى تنظيم النشاط الصناعي.[3]

أهم الصناعات في العهد الحمادي:

لقد شهدت الدولة الحمادية ألوان مختلفة من النشاط الصناعي، فكانت هناك صناعات قائمة على مصدر صناعي أو نباتي، وصناعات قائمة على مصدر معدني، وأخرى تعتمد أساسا على مصدر حيواني، وسنحاول قدر الإمكان إبراز أهم الصناعات المشهورة آنذاك[4].

الصناعة المعدنية:

عرفت هذه الصناعة تطورا لوفرة المواد الخام وكثرة الطلب عليها، حيث قامت على معدني الحديد والنحاس، فالحديد كان يستخرج من القلعة وبجاية لاستخدامه في الصناعات المتعددة وتشير المصادر إلى وجوده أيضا ببونة.[5]أما النحاس فكان يتواجد بجيجل وكان يوجه لصناعة السفن كمسامير للربط وحماية الاخشاب من التلف بشكل صفائح. كما استخدم في صناعة السروج ومقابض السيوف وصناعة المصابح وحاملات الشموع اضافة إلى صناعة الكؤوس والمقاطع والسكاكين والآلات الحربية كالرماح.[6]

---

[1] ابن خلدون: كتاب العبر ج 6 ص: 361.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص: 224.

[3] رشيد بورويبة: المرجع السابق ص: 141.

[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص: 229.

[5] الادريسي: المصدر السابق ص: 85.

[6] رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص:143.

الصناعة النسيجية:

تعد من أهم الصناعات التي احرزت تقدما كبير ا والتي تعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني كمواد أولية مثل الصوف والحرير والقطن والكتان فقد ذكر صاحب الاستبصار أنه في قلعة بن حماد كانت تصنع ملابس بديعة وكذلك عمائم من الكتان الرقيق المطرز بالذهب[1].

وذكر أيضا أن أهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم حيث قال عنهم: "..انه لملوك صنهاجة عمائم ذهب تساوي العمامة الخمس مائة دينار كانوا يعممونها بإتقان .."[2]

الصناعة الخشبية:

يعتمد الخشب في الصناعة الحربية وذلك بتحويله لإنشاء المراكب البحرية فبجاية مثلاوجد بها دار صناعة الاساطيل، فأصبحت بها ورشات لهذه الصناعة[4]

الصناعة الحربية:

لقد اهتمت الدولة الحمادية بهذا النوع من النشاط وازدهر محليا بكثير من المدن خاصة بالعاصمتين القلعة وبجاية نظرا للإمكانيات المعتبرة التي توفرت عليها وتجلت في مختلف المواد الأولية للصناعة الحربية فامتلكت الدولة أنواع من الأسلحة وذلك اعتبارا لطبيعة التحديات التي كانت تواجهها.[3]

صناعة الفخار والخزف:

كانت تنشط هذه الصناعة في فصل الربيع وهو الانسب لصناعتها من حيث اعتدال الجو والعمل فصناعة الفخار تمثلت في الأواني الفخارية والقلال وبعض القصاع وأدوات للزينة كما عثر على أواني من الخزف المطلي بارزة فيه كتابات عربية من الخط الجميل الأمر الذي يدل على صناعة حرفية وحتى راقية وكل أثار الخزف تدل على ذوق عالي وصناعة متقدمة وبراعة في فنون النقش والنحت والتزين.[4]

[1] -الادريسي: المصدر السابق ص: 91.

[2] -عبد الحليم عويس المرجع السابق ص:226.

[3] الادريسي: المصدر نفسه ص:90.

[4] - عمار عمورة المرجع السابق ص: 67.

الصناعة الجلدية

تعتمد هذه الصناعة في أساسها على الحيوانات سواء كانت أليفة أو متوحشة لذا عمل الحماديون على صيدها للاستفادة منها لصناعة الأحذية والقرب التي كانت تستخدم لحفظ الماء واللبن،[1] و صناعة السروج وحتى الطبول وكذلك لتغليف الكتب والمحافظ الجلدية ومن الحيوات التي اعتمدوا عليها في صناعتهم المواشي والثيران والإبل التي كانت تدبغ جلودها .[2]

[1]-رشيد بورويبة: المرجع السابق ص: 153.

[2]-اسماعيل العربي: المرجع السابق ص: 201.

المبحث الثالث :المبادلات التجارية

يتفق الجغرافيون و المؤرخون ان الحماديين قد نشطو في مجال التجارة الخارجية معاروبا.فبعدما كانت قلعة بني حماد هي المركز التجاري الرئيسي الذي تشد اليه الرحال وتقصده القوافل من مختلف الانحاء و اتخاذهم من بجاية عاصمة لهم ركزو على تنمية التجارة البحرية[1] ولقد لعبت العاصمة الثانية دورا بارزا في هذه العلاقات فقال عنها الادريسي "...مدينة بجاية في وقتنا هذا اي سنة 540هـ /1151م مدينة المغرب الاوسط و عين بلاد بني حماد و السفن اليها مقلعة و أهلها يجالسون التجار و بها تباع البضائع بالأموال المقنطرة[2].

فقد أقام الحماديون علاقات تجارية وطيدة مع الممالك الاوربية وتعد ايطاليا من ابرز هذه الدول، فعلى الرغم من الغارات التي كانت تقوم بها السفن الحربية من بونة و بجاية على شواطئها، فان نشيئامن هذا لم يحل دون قيام علاقات تجارية وثيقة بين مدنها و الدولة الحمادية كما عقد حكامها معاهدات تجارية مع حكام بجاية و عرفت جنوة وبيزة ازدهارا اقتصاديا بارزا و ما يؤكد وجود هذه العلاقات هو وجود جنوبين في بجاية ابتداءا من سنة 546هـ و من ذلكأنعقدا مؤرخا في سنة 1123م .قد أشار الى نقل 53 قطعة من الجلد الى المدن الايطالية.[3]و قد كانت حاجات المغرب الاوسط بصفة عامة الى مختلف انواع الخشب ولصناعة السفن كبيرة.

فتم جلب الخشب الخام و الألواح و الخشب المصنوع من البندقية التي كانت تغطيها مساحات شاسعة من الغابات.[4]

و في مقابل المنتجات التي يستودها المغرب الاوسط كانت هذه البلاد تصدر كثيرا من الخيول العربية و البربرية و السمك المقدد و الجلود المدبوغة و المواد التي تستعمل للدباغة الى اروبا التلم تعرف هذا النوع من الصناعة الا فى القرن 14 م[5]

[1] عبد الحليم عويس المرجع السابق ص 227.

[2] الادريسي المصدر السابق ص 926.

[3] الهادي روجي ادريس .المرجعالسابق،ج 2.ص 297.

[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص: 300.

[5] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص:243.

وعرف المغرب الاوسط في العصر الحمادي وفرة في مادة الشمع لا سيما مدينة بجاية التي كانت تمد اروبا بكثير من حاجياتها من هذه المادة فبجاية التي تمثل اسمها الفرنسي لمادة الشمع[1].

كما وجدت وثائق سمحت بمعرفة ما كانت تصدره مملكة بني حماد الى أروبا من زيت الزيتون و الحبوب وكذلك التمر و الفستق و اللوز و التين المجفف و الزبيب الجيد الذي مثل هو الاخر بجاية و بونة و لا يزال يحتفظ باسمه العربي في اللغة الايطالية لليوم[2].

وقد كانت زراعة القطن كثيرة الانتشار فى القرن 10 م على غرار مناطق المسيلة وبسكرة الذي كان يصدر الى البندقية وظلت بجاية تصدر كميات كبيرة من الصوف الى فرنسا وايطاليا. وكان المرجان يستخرج من تنس و مرسى الخرز يحمل الى اروبا بكميات متوافرة.[3]

[1] عبد الحميد حاجيات: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في المغرب الاوسط، مطبعة الديوان، الجزائر،2007، ص:149.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص: 301.

[3] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص:245.

الفصل الثاني:

العلاقات الإقتصادية بين الدولة المرابطية وأوربا

إن اقتصاد الدولة المرابطية كان في نمو وازدهار وقراريطها اليوسفية "نسبة إلى يوسف بن تاشفين" كانت أكثر فضة من الدنانير التي كانت سائدة آنذاك عند فتح الأندلس، ومعلوم أن معدن الفضة لم يكن غزيرا في المغرب في عهد المرابطين وأن نسبة كبيرة كانت تستورد من الأندلس، لكن دقة الصناعة النقدية المرابطية وحرصهم على موافقة نقودهم للمقاييس الشرعية حال دون ضعفها، بالإضافة إلى كون قوة الذهب قد قللت من أهمية العملة الفضية[1].

أما عن تقنيات سك النقود في الدولة المرابطية فيمكن الوقوف عليها بالتفصيل في كتاب "فتاوى ابن رشد " إذ كان يستفتى فيها، وفي أهميتها أمام النقود المتداولة الأخرى آنذاك، وفي النصاب الذي تجب فيه الزكاة في "النقود الأندلسية المختلفة" فكان يجيب بأنه: "لا تجب الزكاة من الذهب إلا في عشرين مثقالا من الذهب الخالصة"، فهذه الفتوى تثبت تفوق الدينار المرابطي على الدنانير الأندلسية من ناحية الوزن ومن ناحية الجودة التي كان يمتاز بها، وهذا الشرط كان أساسا عند الفقهاء في تحديد النصاب[2].

ونظرا للوضع الاقتصادي المزدهر الذي عاشته الدولة المرابطية فقد تعددت دور السكة في الأندلس في عهدها سواء تلك التي اختصت في ضرب الدينار أم في ضرب الدرهم، وكانت موجودة في أغلب المدن الأندلسية كإشبيلية، والجزيرة الخضراء، وغرناطة وقرطبة، ومالقة وألميرية[3].

وكان يشرف عليها شخص يسمى "صاحب دار السكة"، وكانت دور السكة تأخذ الذهب أو الفضة من الأشخاص وتضربه لهم بالضرب الرسمي للدولة المرابطية مقابل أجر معين[4].

و في إطار الوحدة الاقتصادية للبلاد الإسلامية في القرنين (5-6هـ/11-12م)، يتبين ارتفاع تكاليف المعيشة في الأندلس مقارنة بالمشرق الإسلامي، ويمكن إرجاع ذلك حسب المصادر المختلفة

[1] محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافيا، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر، د س ص:176.

[2] ابن رشد: الفتاوى: تح المختار التليلي، دار الغرب الإسلامي بيروت ،1987م، ص:108.

[3] ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، دار الشروق، ط 2، القاهرة 1986م ص: 78.

[4] صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الأندلسي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص: 167.

المعتمدة إلى عدة عوامل أهمها ظروف المواجهة الدائمة بين المسلمين والنصارى، إضافة إلى بعد المسافة بين المشرق والمغرب، مما كان يؤثر على أثمان المواد المستوردة منه؛ كما يحتمل أن يكون للذهب خاصة في العصر المرابطي دور في مسألة الغلاء الذي تتحدث عنه المصادر والمراجع التي أرخت لهذه الحقبة وقدمت صورة عن الجانب الاقتصادي من الحياة اليومية داخل المجتمع المغربي[1].

[1] أمين توفيق الطيبي: جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن 6هـ/12م، من خلال رسائل "جنيزة القاهرة" ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر 1987م ص، ص: 51 53 .

المبحث الأول: الزراعة.

لا يختلف المجتمع المرابطي عن سائر المجتمعات الإسلامية في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، باعتباره مجتمعا يعتمد على الاقتصاد الزراعي، يعتني بالأرض وامتلاكها، واستصلاحها، وفلاحتها، لكن يبدو أن المرابطين لم ينجحوا في إدارة الأرض واستغلالها بشكل مناسب، مما تسبب في بعض الثورات كثورة قرطبة سنة 539 هـ/ 1144 م[1].

وحتى يتسنى لنا فهم ذلك النشاط الزراعي فإنه يستوجب معرفة ملكية الأراضي قبل الفتح المرابطي، وما آلت إليه ملكية الأراضي وسياسة الدولة في هذا المجال.

ولقد كانت ملكية الأرض قبل الفتح المرابطي تتقاسمها القبائل فيما بينها، فكانت غماره تحتل الجزء الغربي الخصيب من الجبال التي عرفت باسمها وجاورتهم لمطة في السهول الزراعية[2]، وشاركتهم صنهاجة التي امتدت ديارها إلى شواطئ المحيط الأطلسيمتصلة الممشارف جبل درن[3] و أصبحت محترفة للزراعة ثم سكنت تامسنا من المصامید ديار برغواطة، فاحتلت المنطقة الممتدة بين سلا وآسفي، و كان المصامید يشتغلون بالزراعة، وهذا ما يفهم من قول المراكشي " إنما كانوا أصحاب فلاحة و رعاة غنم"[4].

أما صنهاجة الجبل فقد أقامت في المنطقة الزراعية الجبلية بين تازا وتادلا و فزاز قربجبال درن من وادي درعة إلى وادي أم الربيع، متصلين بدكالة التي نزلت بين نهر أم الربيع وتنسيفت وامتهنت الزراعة، وعملت في زراعة البساتين والحدائق المختلفة[5].

---

[1] ابن خلدون: العبر ج 6، ص: 249.

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ص: 81.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص: 244 245.

[4] ابن عذارى المراكشي: المعجب، ص: 243.

[5] مؤلف مجهول: الاستبصار، ص: 209.

وفي المنطقة الجبلية سكنت قبيلة هسكورة من المصامید أيضا كما استقرت بعض قبائلهم فيجبل درن متصلة غير منفصلة ومن شدة تمسكهم بالفلاحة وصفوا بأنهم زراع ملتصقون بالأرض مستقرين فيها، وكانوا من أكثر الناس تكسبا وطلبا للرزق[1].

أما صنهاجة الصحراء، فقد انتشرت بين أطلس الصحراء وبلاد السودان ومنهم لمتونة ومسوفة وجدالة[2]، وهم رعاة إبل بحكم بيئتهم، وعليه فإن الملثمين بعد أن فتحوا المغرب الأقصى اختاروا مراكش عاصمة لهم لكون موقعها مسرح خصيب لجمالهم.[3]

وبعد الفتح المرابطي تغيرت مواطن القبائل ومراكزها، فانتقلت قبائل الملثمين من منطقة الصحراء الجنوبية إلى منطقة السهول والواحات الشمالية[4]، ثم توالت جموعهم من الصحراء باستدعاء يوسف ابن تاشفين لهم أيامنيابته عن أبي بكر بن عمر فأقطعهم الأراضي، و في ذلك يقول ابن عذارى " و كتب- أي يوسف بن تاشفين- إلى بعض إخوانه في السر من أبي بكر يحضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ،ويعدهم بالخير الجزيل، فوصل منهم جماعة كبيرة"[5].

وبعد انفراد ابن تاشفين بالسلطة قدمت جموع أخرى من قبائل لمتونة وجدالة وغيرهم، وفي هذا يقول صاحب الحلل " لما كانت سنة سبعين وأربعمائة، شرعفي تجديد العساكر، وبعث إلى الصحراء للمتونة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك...وعظم ملك يوسف بن تاشفين".[6]

---

[1]ابن خلدون: العبر، مج 6، ص: 241.

[2]البكري: كتاب المغرب، ص: 163.

[3]مجهول: الحلل الموشية، ص: 16.

[4] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1963، ص: 71.

[5]ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4 ص: 23.

[6]مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص: 33.

و ذلك أثّر على ملكيات الأراضي بالمغرب لأن الأرض كانت تملك بوضع اليد أو بالشراء[1]، فعندما قدم المرابطون إلى المغرب وأرادوا تأسيس مراكش أسسوها، و حسب رواية ابن عذارى فأن مراكش أسست فوق منطقة حدودية بين قبيلة هيلانة و قبيلة هزميرة، وهي منطقة دون مالك خارجة عن نفوذ القبيلتين و في ذلك يقول:" و في هذه السنة 461 هـ/ 1068 ضاق الجمع بمدينة أغمات و ريكة،عن الخلق فيها، فشكا أشياخ ريكة و هيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد مرة إلى أن قال لهم:" عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة إن شاء الله تعالى" واجتمع أشياخ قبائل المصامدة، وغيرهم فوقع تدبيرهم أن يكون موضوع تلك المدينة بين هيلانة و هزميرة[2].

أما الإدريسي، فينسب ملكية الأرض إلى بعض سكان أغمات كملكية خاصة وفي هذايقول:" وبشمال هذه –أي أغمات–وعلى أثني عشر ميلا منها مدينة بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة 470 هـ/ 1077 م بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال[3]". في حين يذهب "ابن أبي زرع" إلى شرائها من المصامدة، وهو بذلك يتفق مع الإدريسي بأن تملك المرابطين لأرض مراكش كان عن طريق الشراء حيث يقول:" وفيها أي سنة 454 هـ/ 1062 ما اشترى ابن تاشفين اراضي مراكش، ممن يملكه من المصامدة[4]".

ومهما كان الاختلاف في الروايات والتواريخ بين جمع ابن عذارى وبين جمع الإدريسي وابن أبي زرع فالراجح أن أرض مراكش أصبحت ملكا للدولة الناشئة تتصرف فيها كيفما شاءت، ووقت ما شاءت من موقع السلطة فإذا توحد المالك توحد التصرف.

[1]الونشريسي: المعيار المعرب و الجامع المغرب ج 6 ، تح: محمد حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط، ص: 134.

[2]ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4 ص: 19.

[3]الادريسي: المصدر السابق، ص: 69.

[4]ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 89.

وبذلك يكون المرابطون قد أحدثوا انقلابا في الملكيات وتحولت ملكية الأرض إلى الارستقراطية الجديدة من الملثمين وأتباعها خصوصا وأن أول ما فعله المرابطون هو استلائهم على أراضي القبائل المغلوبة على أمرها والمناوئين لهم سواء في المغرب أو في الأندلس[1].

و قد اتبع المرابطون في بدايةتأسيس دولتهم، سياسة مصادرة الأراضي مما جعل الدولة هي المالك لكثير من الأراضي المغربية و الأندلسية خاصة بعد أن ضموا أراضي غمارة و زناتة و مصمودة ،كما ضموا إليهم أراضي ملوك الطوائف فيما بعد، بحيث أن المرابطين حكموا على كل من ناوأهم و صد عن دعوتهم بالكفر، فوجب من وجهة نظر ابن ياسين قتالهم واعتبر مالهم غنيمة ،وبذلك فقدت زناتة و برغواطة أراضيها [2] و تحولت ملكية الأراضي في برغواطة، وغمارة من يد القبائل المالكة لكثير من الأراضي إلى يد الدولة الجديدة، ولاشك أن ذلك كان على حساب سكان تلك المناطق من قبائل(زناتة ،مغراوة، بني يفرن)الذين كانوا يتخذون من سجلماسة و أغمات، و قلعة مهدى بن توالى وفاس مستقرا لها.[3]

والدارس لسياسة المرابطين في تملكهم للأراضي يمكن أن يتبين ثلاث مراحل متعاقبة:

أولها: تبدأ بسن عبد الله بن ياسين سياسة " التطييب" قبل فتح بلاد المغرب الأقصى[4].

ثانيا: سياسة التخميس وتوزيع الغنائم على الفاتحين منذ بداية الفتح حتى تأسيس مدينة مراكش، لكن الراجح أن أمراء الدولة المرابطية تخلوا عن هذه السياسة.

[1]ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص: 15 17.

[2]البكري: المصدر نفسه، ص: 168.

[3]البكري: المصدر نفسه، ص:168.

[4]هو أخذ ثلث مال من ينضم إليهم من صنهاجة الصحراء، لتطييب الثلثان الباقيان، وقد اتبع ابن ياسين هذه السياسة وزعم أنها تطيب المال. ينظر ابن عذارى: البيان المغرب: ج 4 ص: 10

بعد تأسيس مراكش وإعلان قيام الدولة، خصوصا وأن الجيش المرابطي أصبح يضم عناصر غير صنهاجية من مصمودة وزناتة ومرتزقة من العبيد و السود[1].

ثالثا: أن الدولة أصبحت تتبع سياسة إقطاع الجند من تلك الفترة، ويتضح لنا ذلك جليا بعد أن تمكن المرابطون من السيطرة على الأندلس حيث عمدوا إلى إتباع السياسة القديمة في إقطاع الأراضي للجند يفلحونها، ويستثمرونها وهو ما أشار إليه صاحب" الحلل الموشية" بقوله:" فمند ان ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده[2]".

لكن يبدو أن سياسة التخميس والإقطاع فيما بعد أدت إلى بيع الأراضي التابعة لبيت المال فقد افقدت الدولة الكثير من الأراضي وبدا ذلك جليا. سيما وأن سياسة المرابطين في إقطاع الجند وغيرهم من قبائل الملثمين قد أضرت بالملكيات الزراعية حتى كادت أرض الخمس أن تتلاشى، وربما أن هذه السياسة أفادت الأرض والإنتاج من قبل أصحاب الملكيات الصغيرة، لكن كبار الملاك كانوا لا يفلحون ما يملكون ويديرون أملاكهم بالوكالة مما سبب مشكلة زراعية في نهاية الدولة وخلفت نتائج خطيره، لم يستطع المرابطون مواجهتها، وهذا ما ترك آثارا سلبية على الزراعة والإنتاج الزراعي[3].

ولتفادي تلك الآثار ومواجهتها حاول علي بن يوسف سنة 515 هـ / 1121 م، استعادة الأراضي عن طريق مصادرة أملاك الأمراء والعمال المرابطين المغضوب عليهم، هم وحاشيتهم وفي السنة نفسها أراد علي بن يوسف مراجعة الملكيات العامة التي آلت إلى ملكيات خاصة منذ أيام بني عامر وبني عباد واستفتى الفقهاء في ذلك. وعمل في سنة 521 هـ/1127 م على ضم أحباس الكنائس أو الذين فروا إلى أرض العد وإلى ملكية الدولة وهي أراضي واسعة[4].

و مما لا شك فيه أن سياسة مراجعة الدولة لملكياتها التي آلت إلى ملكيات خاصة كانت من أنجح الأساليب جميعا إذ لو تمت لمكنت الدولة من استعادة الكثير من الأراضي، وأثرت على كثير من

[1]مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص: 51.

[2]المصدر نفسه: ص:82.

[3]ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4،ص: 77.

[4]الونشريسي: المعيار، ج 8، ص: 56.

الناس سيما الفقهاء لكن يبدوا أن علي ابن يوسف كان يشعر بخطورة هذا الإجراء، فحرص على دعم الفقهاء له ولم تكن سياسة التخميس و الإقطاع و التعدي على ملكية الأراضي التابعة لبيت المال عن طريق البيع هي الوحيدة التي أفقدت الدولة الكثير من الأراضي بل شهدت أيضا فترة الفتنة التي أعقبت سقوط الدولة المرابطية ضياع الكثير من أراضي الدولة، و تغلب زعماء الفتنة على أملاك الناس أمثال " ابن مردنيش"[1] و غيرهم الذين كانوا لا يملكون شيئا، و صاروا من أكبر الملاك وهدا دليل على ذلك فاضطر الناس إلى بيع أراضيهم بأسعار زهيدة حيث انتهز بعض الأشخاص تلك الفرصة واشتروا أملاك الكثيرين و هذا ما يطلق عليه ابن خلدون اسم " حوالة الأسواق"[2] في حين احتفظ البعض بأرضه عن طريق الإنزال، فيترك شخصا ما في ملكه فيعتمر الأرض على كراء ،ويكون الإنزال على فائدة المال دون مراقبته، ويبدو أن المتنزلين كانوا أصحاب النفوذ إذ كثيرا ما يمتنعون عن دفع الكراء.[3]

[1]ابن عذارى: المصدر السابق، ص ص: 79 83.

[2]ابن خلدون: المقدمة ص: 424.

[3]الونشريسي، المعيار ج6 ص:198.

المبحث الثاني: الصناعة.

لقد اهتم المرابطون بالصناعة وكانت هناك جملة من العوامل التي أثرت على الإنتاج الصناعي وسنحاول تلخيصها فيما يلي:

نظرة المجتمع المرابطي للصناعة:

مما لا جدال فيه أن الفلاحة في المغرب والأندلس كانت قد شكلت عصب الحياة في المجتمع ، على اعتبار أن الفلاحة "منها العيش كله والصلاح جله" إلا أن هذا لم يمنع ازدهار الصناعة، إذ لا تخلوا منطقة من المناطق إلاوبها صناعة قائمة خصوصا وأن سكانها اقبلوا على تعلم الحرف والصنائع و خير دليل على ذلك أن أهل السوس واغمات من فرط حبهم للحرف والتكسب دأبوا على تعليمها لنسائهم وحتى صبيانهم وفي هذا يقول البكري "وأهل السوس و أغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق يكلفون نساؤهم و صبيانهم التحرف والتكسب"[1] ووصف بعض المؤرخين صناع فاس بأنه لا يوجد " صناع أصدق من صناعهم[2]".

ولم يكن حال الأندلسيين بمنئ عن تعلم بعض الحرف والصناعات كما هو عليه الأمر بالنسبة للمغاربة، فصاحب "نفح الطيب" يشير إلى حرص الأندلسيين على تعلم الصنعة وهذا ما يفهم من قوله أن "الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد نفسه أن يتميز بحرفة"[3]، غير أنما يجب الإشارة إليه هنا بخصوص قول المؤرخ أن لا يفهم من قوله أن المجتمع الأندلسي كان ينظر إلى الحرفة الصناعية نظرة احتقار وازدراء بل العكس من ذلك تماما.

وهذا ما يوضحه المؤرخ نفسه حينما يقول: "ويربأ نفسه أن يرى فارغا عالة على الناس لأن هذا عندهم في نهاية القبح"[4]وهذا ما عبرت عنه أمثال العامة إذ أن مجملها ينبذ التقاعس والبطالة. ولم

---

[1]البكري: المصدر السابق، ص: 163.

[2]الحميري المصدر السابق، ص: 74.

[3]المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت،1988، ص: 200.

[4]المقري: المصدر نفسه، ص: 200.

يقتصر الحث على تعلم الحرف والصنائع على الأمثال الشعبية بل تعداها إلى الشعراء الذين كانوا يرون في تعّلمها عنصرا أساسيا في تكوين شخصية الفرد وتحقيق الرفعة والمجد[1].

ومما يؤكد المكانة الخاصة للحرف وبعض الصناعات أن هناك من دأب على تعلمها من ذوي المنزلة الرفيعة ووجدها بعد ضيق حاله وفقدان رياسة أو ملك، ولا يجد في ذلك غضاضة في التعيش من صنعة يحترفها وكان بنات المعتمد بن عباد لما ضاق بهن الحال كن يغزلن للنساء بأجرة ينفقونها على أنفسهن بل أن بعض النساء من شدة حرصهن على صناعتهن كن يشترطن ذلك في عقود زواجهن[2].

ولعل ما يزيد في تأكيد ارتباط مجتمع المغرب والأندلس بتعلم الحرف في عصرا لمرابطين رغم ما شاع من انتشار التصوف فيه أنه قلما نجد متصوفا ترك عمله زهدا[3]ومن فرط ارتباط الناس بحرفهم وصناعتهم شاع انتساب الأشخاص لأسماء المهن مثل قولهم عل سبيل المثال أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي الجباب[4]، أو حامد بن عبد العزيز السلالجي الخزار[5].

الوحدة السياسية والاستقرار الأمني:

كان المغرب الأقصى قبل قيام دولة المرابطين أو ما يصطلح على تسميته بعصر الإمارات الزناتية يعيش حالة من التمزق والفوضى السياسية بعد أن عصفت ريح الفرقة بين القبائل، فنتج عن ذلك نظام سياسي مهترئ عبر عنها ابن عذارى بقوله: "وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم، وأمرائهم يتولون الإمارة بينهم إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه"[6].

---

[1]المقري: المصدر السابق، ص: 203.

[2]النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، مج 11، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 19.

[3]االمقري: المصدر السابق: 136.

[4]من أهل أزمور بها نشأ ومنها تنقل إلى مراكش ليستقرها، وهو من أهل المعرفة بعلوم الاعتقاد توفي بمراكش سنة 592هـ/ 1195 م. ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص: 255.

[5]من أهل الناحية الشرقية من مراكش، معروف بزهده توفي ببجاية وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ودفن بمنطقة ملالة ينظر الحميري: نفس المصدر، ص: 312.

[6]ابن عذارى: المصدر السابق، ج 4 ،ص:10.

ولم يكن الأندلس أحسن حالا عما كان عليه الوضع في المغرب بعد أن انقسم هو الآخر على نفسه يحكم ملوك الطوائف، فانفرد كل ملك منهم بجهة فاستولى النصارى على طليطلة و أعمالها وبدت أطماعهم في الاستيلاء على كامل الجزيرة، فكثر الروع على الأندلس، واشتد الخوف، و هابت الملوك[1] ولعل أحسن وصف للأندلس آنذاك هو قول صاحب الحلل: "أما نحن العرب في هذه الأندلس ،قد تلفت قبائلنا ،وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من معيننا، فصرنا شعوبا لا قبائل، وأشتاتا لا قرابة و لا عشائر، وكثر شامتنا وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين ووطئنا بقدمه، و أسر المسلمين، وأخذ البلاد و القلاع والحصون، ونحن أهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره، ولا أخيه ولو شاءوا لفعلوا إلا أن الهوان منعهم عن ذلك، و قد ساءت الأحوال وانقطعت الآمال "[2].

وأمام هذا الوضع المتردي عجزت تلك الإمارات والدويلات الطائفية في فرض سلطتها وتوفير الحماية للأسواق والصناعات من عدوان البربر وغاراتهم في المغرب وعدوان النصارى بالأندلس[3].

وعليه فلم يعد الوضع العام ملائما لقيام أي نشاط صناعي يذكر غير أنه مع مجيء المرابطين تغيرت الأمور بحيث تمكن هؤلاء من استغلال الظروف السياسية التي عمت المغرب والأندلس من الضعف الذي أخذ ينخر تلك الإمارات والدويلات، وترحيب الرعايا بالمرابطين سواء في المغرب أو الأندلس، بعد أن وظفوا كامل طاقتهم بدعوتهم الدينية، ووجدوا سندا قويا من الفقهاء لهم، فأحكموا بادئ ذي بدء قبضتهم على المسالك المؤدية إلى ذهب السودان الغربي ثم انطلقوا بعد ذلك صوب الشمال فضموا الأندلس ليحققوا بذلك الوحدة السياسية[4].

[1]النويري: المصدر السابق، ص: 274.

[2]مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ص:45 46.

[3]المصدر نفسه: ص ص: 29 33.

[4]البكري: كتاب المغرب، ص ص: 167 168.

حاجة الدولة للصناعات الحربية:

كان التوجه العام للدولة المرابطية قائم على أساس عسكري وانعكست معالمه على جل نظم الدولة، فالمعروف أن الدولة المرابطية قد خاضت حروب عديدة سواء في المغرب مع بداية قيامها أو في الأندلس فيما بعد، ومما لا جدال فيه أن الدولة كانت بحاجة ماسة إلى ما يفي غرضها في هذا الجانب من أسلحة، وهذا ما عمل على تنشيط الصناعة بصفة عامة والصناعات الحربية على الخصوص، فتنوعت أسلحة المرابطين[1] واختصت مناطق كثيرة من المغرب والأندلس في تلك الصناعات وبذلك تكون تلك الصناعات قد أسهمت إسهاما مباشرا في تنشيط الصناعة[2].

[1]ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1، تح: محمد عبد الله حنان، مكتبة الخانجي، القاهرة،1979، ص: 250.

[2]الإدريسي، المصدر السابق، ص: 59.

المبحث الثالث: التجارة الخارجية.

كان لازدهار التجارة الخارجية في أسواق المغرب والأندلس في عصر المرابطين وامتلاء الأسواق بالبضائع والمنتجات المحلية أثر في تنشيط حركة التجارة الخارجية إذ أصبحت أسواق المغرب والأندلس مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار[1]،ومما ساعد على تنشيط حركة التجارة الخارجية اتساع الرقعة الجغرافية التي كانت تخضع لسلطان المرابطين[2]،ووجود حكومة ساهرة على حماية الطرق التجارية وتوفير الأمن لسالكيها فأصبح المغرب الأقصى ممرا آمنا للقوافل التجارية القادمة من السودان والمتجهة إلى الشمال لتسويق السلع عبر الموانئ المغربية إلى الأندلس وأوروبا[3].ومما لاشك فيه أن للأسطول المرابطي دور كبير في تأمين الموانئ المغربية والأندلسية وحماية الطرق البحرية في البحر المتوسط، فضلا عن عمليات الجهاد التي قام بها، الأمر الذي سهل حركة التنقل بين المغرب والأندلس[4].

كان لموقع بلاد المغرب مكانة مرموقة في مجرى النشاط التجاري وهذا نظرا لعاملين أساسيين هما:

- طول شواطئ المغرب، وانفتاحها على العالم الخارجي من جهة الشرق بواسطة سواحل افريقية، ومن جهة الغرب بواسطة سهول المغرب المنبسطة على سواحل المحيط الأطلسي.[5]

كما كان لطبيعة المغرب الجغرافية أن جعلت من الطرق التجارية البحرية أداة الاتصال بين أرجاء المغرب، رغم أن السواحل فيها لا توجد بها موانئ طبيعية كثيرة مناسبة للملاحة كالتي في شرق الأندلس مثلا إلا أن استخدام السواحل بشكل مستمر ساعد على تطوير موانئها إذ أنها تتخذ

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص:96.
[2] ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص: 87.
[3] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، المصدر السابق، ص:123.
[4] عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص:154.
[5] الإدريسي: المصدر السابق، ص: 193.

الخلجان والجبال والجزر وأودية الأنهار ستارا لها من الرياح أو باتخاذ مرسيين، واحد للسفن الكبيرة، والآخر للسفن الصغيرة[1].

ولم يكن حظ السواحل المغربية الواقعة على المحيط الأطلسي كالسواحل المطلة على حوض البحر المتوسط لأن حركة الرياح الشرقية والغربية فيها تساعد السفن في حين ان السفن في المحيط الأطلسي لا تتحرك إلا مع الرياح الغربية في موسم العواصف والأمطار ونظرا لصعوبة الملاحة في المحيط الأطلسي[2]، فإن السفن لا تبتعد عن مرأى العين في السواحل الغربية، وإنما تمر بمحاذاة السواحل، وعلى العموم فقد طرأ تغيير على السواحل الغربية، وتلاه تغير في وضع الطرق البحرية إذ ازدهرت سهول المنطقة الغربية المطلة على المحيط الأطلسي[3].

وظهرت مدن تجارية على سواحلها في العصر المرابطي، فتغير وضع الطرق تغيرا كبيرا، فبينما كانت الطرق البحرية تربط بلاد المغرب والأندلس قبل العصر المرابطي من مراسي البحر المتوسط، ومن طنجة إلى أصيلا فقد أصبحت السفن تتعدى آسفي بأربعة مراسي في أيام المرابطين وتصل إلى نول لمطة[4].

وعبر هذا الطريق كان الاتصال بموانئ الاندلس «أي طريق اسفي نول لمطة او ربما مرسى مغربي الى ما يقابله من المراسي الاندلسية فسهل هذا الاتصال من حركة النقل بين ال عدوتين[5].

ولعل الأمر الذي سهل وضاعف من أهمية الطريق البحري الواقع على الساحل الغربي لبلاد المغرب ظهور بعض المدن كمراكز تجارية بحرية مثل مرسى "سلا"، وفضالة" وغيرهما. وتحولهما إلى موانئ كبيرة. هذا ناهيك عما بلغته "سبته" التي أصبحت ميناء تجاريا كبيرا بعد أن كانت من قبل مجرد مجاز

[1] الإدريسي: المصدر السابق، ص ص:194 195.
[2] البكري: المصدر السابق، ص ص: 109 113.
[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص: 117.
[4] الحميري: المصدر السابق، ص: 86 87.
[5] الإدريسي: صفة المغرب، ص ص: 166 167.

للأندلس. فكان كل من يريد السفر إلى المشرق من الأندلسيين يتوجه للرحيل منها أما الأندلس فقد اقتضت صعوبة الاتصال بها أن كان طريق البحر أهم وسيلة في تجارتها[1].

ولعل خير دليل على ذلك ما وصلت إليه "المرية" و "دانية" أيام المرابطين إذ أصبحت مقصدا لقوافل المشرق خاصة من "الإسكندرية" وبلاد "الشام" وأصبح هناك طريق بحري يربط بين بلاد الأندلس وبلاد المشرق علاوة على الاتصال المباشر بين موانئ المغرب والأندلس[2].

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 71.

[2] الحميري: مصدر السابق، ص ص: 237 238

المبحث الرابع: العلاقات التجارية بين المرابطين وأوروبا.

إن طبيعة العلاقات التجارية بين المرابطين وأوروبا كانت تتوقف على علاقاتهم بالمماليك النصرانية خاصة الإسبانية منها فمن المعروف أن المرابطين خاضوا حروبا طاحنة مع نصارى اسبانيا جعلت التجارة معهم ومع أوروبا لا تزدهر إلا في أوقات الهدنة وهذه كثيرا ما كانت تخرق[1].

وذلك سبب في اتجاه المرابطين في تعاملهم التجاري إلى صقلية والمدن الإيطالية والتي بسطت سيطرتها على البحر المتوسط في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلا إن هذه العلاقات كانت تشوبها بعض المخاطر خاصة ان المرابطين كانوا يتطلعون إلى السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط. وقد واتتهم الفرصة يوم تحالفوا مع "بني باديس" وغزا أسطولهم سواحل صقلية وايطاليا[2]غير أن الثورة الموحدية شغلتهم عن مواصلة جهادهم البحري.

كما كانت هناك بعض الاتفاقيات التي وقعها المرابطون مع المدن الايطالية خاصة يزا وجنوه سنة 528هـ/ 1133 م، 533 هـ/ 1138 م. فكان لهذه الاتفاقيات دور كبير في تنشيط التجارة بين المرابطين، و المدن الايطالية، بعد أن اكتفى المرابطون بأخذ العشر من تجار تلك المدن واستغلت يزا جنوه و ضعف المرابطين في فترة الانتقال وعقدهما اتفاقيات مع "مرسية" و"بلنسية منحت امتيازات كثيرة لتجار جنوه، وبيز ا وظلت هذه الاتفاقيات تتجدد حتى استيلاء الموحدين على شرق الأندلس[3].

وتتمثل أهم الصادرات المغربية إلى أوروبا في التمر السوسي والسكر والنيلة الدرعية والنحاس[4]وبعض المنادل النادرة الصنع كما شملت الصادرات الزيت الاشبيلي. أما واردات الدولة المرابطية من البلدان الأوروبية، فكان أهمها على الإطلاق الرقيق خاصة من الصقالبة ويشير "صاحب الحلل الموشية" إلى جملة ما اشتراه يوسف بن تاشفين منهم سنة 464هـ 1071م من قوله:"ولما كانت

---

[1]ابن عذارى: البيان المغرب، المصدر، السابق، ج4، ص ص:91 92.

[2] ابن عذارى: المصدر نفسه، ج3 ،ص: 126

[3]بلوك مارك: بحوث في التاريخ الاقتصادي. تر، توفيق اسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة 1961ص ص: 8، 11.

[4]البكري: كتاب المغرب ص :162.

سنة أربع وستين وأربعمائة قوى أمره وعظمت شوكته.... وبعث إلى الأندلس فاشترى منها جملة من العلوج[1]".

ولم تقتصر واردات الدولة على تجارة الرقيق فحسب بل شملت سلعا أخرى مثل الأقمشة التي كثر استيرادها من "جنوه"، و"ميلان" كما كانت الثياب الصوفية تصل إلى المغرب من فلندة، و السيوف من بيزا ، أما القطن والكتان و الحرير فيرد إلى سبتة من جنوه وبيزا[2].

[1]مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 25.

[2]الزهري: كتاب الجغرافية ص 76.

الفصل الثالث:

العلاقات الإقتصادية بين الدولة الموحدية وأوربا

لقد عملت الدولة الموحدية على تطوير اقتصادها وفق مستجدات عصرها واتساع رقعتها الجغرافية، فيمكن القول أنه بعد استقرار الحياة واستتباب الأمر شهد الاقتصاد رخاء عظيما خصوصا في عهد الخلفاء الكبار الذين تحملوا مسؤولية البناء والدفاع عن أراضي الدولة، فانتعشت بذلك الحياة الاقتصادية وتحسنت أحوال السكان المعيشية تحسنا ملحوظا تشهد به مختلف المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع[1]،فالإمبراطورية الموحدية عرفت ازدهارا اقتصاديا واسعا لاسيما في جزئها الغربي، ويمكن الوقوف على هذا الازدهار الاقتصادي بالتفصيل في مؤلفات الجغرافيين الذين عاصروهم حيث يذكرون أن الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي في بداية عهده لم يتعد منهج المهدي بن تومرت الذي قرره في تحصيل الأموال الضرورية للدولة، و اكتفى بجمع الزكاة وتحصيل الأعشار وأخماس الغنائم حتى لا يرهق كاهل الشعب مما ساهم في توسيع دائرة الرخاء داخل المجتمع[2].

وبفضل هذه السياسة التي اتبعها عبد المؤمن في جمع الأموال استطاع أن ينمي الحياة الاقتصادية ويساهم في ازدهارها ويحفظ الرخاء والتوازن داخل المجتمع. ومن تم يمكن اعتبار عبد المؤمن بن علي الخليفة الأول الذي وضع أسس النظام الاقتصادي الذي سبب الرخاء للدولة الموحدية في عهده الزاهر وفي عهد خلفائه[3]، إذ لم تكد تمر مدة على اعتلائه أريكة الحكم حتى كانت منجزاته تبهر وتدل على دربة واسعة ورؤية ثاقبة للمستقبل، وضبط واسع، لمختلف شؤون الدولة؛ وبفضل هذه المنجزات بلغ المغرب الإسلامي ازدهار لم يصل إليه من قبل حيث كان للخليفة عبد المؤمن الأيادي البيضاء في وضع اللبنة الأولى لاقتصاد ناجح سيواكب الدولة الموحدية طيلة عهدها الزاهر[4].

[1]علام عبد الله: الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، ط1، ص:254.

[2]عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة 2001، ط2، ص: 78.

[3]غلام عبد الله: المرجع السابق،255.

[4]عنان محمد عبد الله: المرجع السابق،79.

وسارت الدولة الموحدية على منوال الدولة المرابطية وخطت نفس الخطوات في سبيل تأمين الأمن والاستقرار داخل المجتمع مما ساهم في ازدهار التجارة الداخلية وانتعاشها، حيث عملت على حماية الطرق التجارية من جميع المخاطر التي يمكن أن تهدد التجار، فسهلت سبل التجارة وأقامت الآبار والاستراحات في طرق القوافل التجارية، وأنشأت المنارات في الثغور، واهتمت ببناء الأسطول البحري من أجل تشجيع التبادل التجاري بين مختلف الجهات، وكان الهدف من وراء اهتمام الخليفة عبد المؤمن بالتجارة الداخلية والخارجية هو إحداث الرواج داخل البلاد ولكي تكثر المبيعات الداخلية ويسهل التعامل بين شعبه فضرب السكة، وحرص أن لا يضع للتجارة الداخلية ضرائبا تعيق مسيرتها ورواجها، ولكنه راقبها برجال الحسبة لضبط الموازين وهذا من اجل الحفاظ على التجارة والتجار.[1]

كما أن المراكز التجارية في العهد الموحدي عرفت انتشارا واسعا، فاهمها كانت في الجنوب الشرقي حيث توجد مدينة «سجلماسة» وهي البوابة التي يدخل منها ذهب السودان إلى المغرب، والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد يكون ذلك مسيرة عشرة أيام في ذلك الزمان حسب تعبير عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، أما مدينة مراكش التي تنتصب عند منتهى الأطلس الكبير فكان يدخلها التجار من أبواب معينة لتسهل مراقبة بضائعهم، وكانت لهم فنادق خاصة يجتمعون فيه[2].

وبقدر ما كان الاهتمام بالتجارة الداخلية وتطويرها عند الموحدين كان الاهتمام بالتجارة الخارجية كبيرا بحيث نشطت نشاطا ملفتا للنظر في عهدهم حيث اجتهدوا ووضعوا لها أنظمة تضبطها، وعقدوا من أجلها المعاهدات مع "البندقية" و"جنوة" و"مرسيليا" و"بيزة" وأغلب المدن الأوروبية الساحلية، التي كانت مدينة سبتة وطنجة تتبادل معهم المنتوجات المختلفة، والملفت للنظر أن

[1] المراكشي عبد الواحد: المصدر السابق،223.

[2] نفس المصدر، ص196

التجارة الخارجية في عهدهم كانت نشيطة وفعالة مع أوروبا وإفريقية على السواء حيث تبادلوا المنتوجات التجارية مع تونس وبجاية وقسنطينة[1].

كما تبادلوا مع إفريقية التي كانت قد تكونت على شكل مماليك كبيرة انتشر فيها الإسلام بفضل هذه الرحلات التجارية[2]، ويمكن التعرف على البضائع التي كان التجار المغاربة يحملونها إلى السودان وطريقة التبادل بينهم، والطرق التي كانوا يسلكونها من خلال ما أورده ياقوت الحموي في معجمه الجغرافي "معجم البلدان" حيث يذكر بالتفصيل عملية التبادل التجاري بين التجار المغاربة وسكان هذه المماليك الإفريقية منذ انطلاقتهم الأولى من "سجلماسة" إلى مدينة في حدود السودان يقال لها "غانة" حسب قوله في الكتاب المذكور، كما يصف نوع البضائع التي كان يحملها هؤلاء التجار معهم مثل الملح، خرز الزجاج الأزرق، النحاس الأحمر، خواتم نحاس إلى غيره من البضائع التي كان يتم تبادلها مع سكان المماليك الإفريقية بطريقة فريدة من نوعها يذكرها صاحب الكتاب المذكور بالتفصيل[3].

أما المبادلات التجارية مع أوروبا فأهميتها تتجلى في كثرة المعاهدات التي أبرمتها الدولة الموحدية مع المدن الأوروبية[4]خلال القرن السادس الهجري وما بعده، حيث عرفت أوروبا انتعاشا اقتصاديا وتجاريا ملحوظا عن طريق التجارة مع المغرب، وأخص بالذكر تجار "جنوة" و"بيزة" و"البندقية" و"كطلونيا" الذين كانوا يشترون من المغرب المعادن كالنحاس والصوف، والزيت والدبغ، والفواكه الجافة، ، ومن الموانئ المغربية الرئيسية التي لعبت دورا هاما في ازدهار التجارة عند الموحدين وكان يتم فيها المبادلات التجارية المتنوعة "ميناء مدينة سبتة ، وكان بها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة[5].

[1]المراكشي عبد الواحد، مصدر سابق ص 198.

[2]غلام عبد الله: المرجع السابق،382.

[3]ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص:124.

[4]. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص:125.

[5]البكري: المصدر السابق ص: 114.

مما يؤكد مدى الرخاء الاقتصادي الذي كان يعيشه المغرب الإسلامي في ظل الدولة الموحدية حيث لعب المغرب دورا رئيسيا في المبادلات بين السودان وأوروبا بفضل تحكم الموحدين في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء، وفي موانئ المغرب الإسلامي المختلفة؛ ومن ثم استطاعت الدولة الموحدية حماية الطرق التجارية البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي من خطر القرصنة والسطو على السفن الذي كان منتشرا في ذلك العهد[1].

[1] ياقوت الحموي بن عبد الله، مصدر سابق ص127.

المبحث الأول: المبادلات التجارية.

إن العلاقة الاقتصادية بين الموحدين واروبا تكمن في العلاقات التجارية بينهما والمتمثلة في الصادرات والواردات.

الصادرات:

إن سيطرة الموحدين على سواحل شمال إفريقيا، وبعض أجزاء الأندلس جعلها تتوجه إلى الجهاد البحري ضد النصارى، وذلك نتيجة الإمكانات الطبيعية والصناعية التي تمتعت بها، ورغم كل هذا الصراع لم يمنع التجار من مزاولة تجارتهم، ولم يأخذوا تهديد السلطة بعين الاعتبار خاصة تجار المدن الإيطالية[1].

وقد عمل الموحدون على توفير الأجواء المناسبة لممارسة النشاط التجاري، ومنح الموحدون امتيازات للتجار الأجانب خاصة الجنويين منهم، حيث سيطروا على تجارة المغرب الخارجية وذلك باحتكارهم النقل البحري، ويتضح ذلك من حجم التبادل التجاري فقد أصبحت استثمارات جنوة شاملة لجميع المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط، الذي كانت فيه نسبة الاستثمار جد كبيرة[2]. والجدير بالذكر أن المغرب الأوسط اشتهر بتجارة الرقيق الأبيض والأسود وذلك حسب قول الغبريني، «وبلغ الحال من كثرة بيع سبي الآدميين أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوحش ...»[3].

وقد كانت تتم عمليات البيع في حلقات حيث يقوم المسلمون بهذه العملية في أسواقهم، وكان يسهر على مراقبة وتسيير مهمة التجارة ناظر الديوان ومساعدوه من الكتاب والعدول والتراجمة[4].

---

[1] عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس للهجري، دار الشروق بيروت 1983 ص 219.

[2] هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس ج2، دار الفرقان (عمان-الأردن)، 1984 م ص:388.

[3] أحمد بن أحمد بن عبد الله أبي العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،1979 م ص: 45

[4] رسائل موحدية: تحقيق أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ال قنيطرة2001 م، ص: 401

وكذلك أخذ التجار يتوافدون على المغرب الأوسط، وأصبح هذا الأخير محطة هامة لتصريف بضائع التجار الأوربيين، وشرائهم بضائع الصحراء عن طريق قوافل التجارة الصحراوية المحملة ببضائع منها الحبوب والجلود والأصواف والزيوت والتمور والذهب وسبائك الفضة[1]، إضافة إلى الخشب والمرجان، وكذلك مواد الدباغة النباتية والشمع والزبيب وسائر الفواكه الجافة[2]، والشمع الذي صدرت منه كميات كبيرة نحو أوربا، حيث ظل قرون طويلة أحسن وسيلة للإضاءة.

لقد كان المغرب الأوسط يمثل حلقة وصل بين دول المغرب وأوربا وبموقعه الاستراتيجي الذي جعل من التجارة تزدهر بشكل كبير مع الإمارات الأوربية وخاصة الإيطالية منها[3].

الواردات:

عرف عهد الموحدين إزدهارا في التجارة فكثرت المراكز التجارية التي تربط مسالك الصحراء بالأندلس والمدن الإيطالية، وبقدر ما كانت الدولة الموحدية تصدر كانت تستورد، خاصة من القوافل الصحراوية والسفن التجارية الأوروبية، فقد استوردت الأقمشة والقطن والكتان والحرير والتوابل الشرقية التي كانت تجلب عن طريق تجار جنوة[4]، كما استوردت الذهب والفضة والنحاس وسائر المعادن مصنوعة أواني وأدوات منزلية كالإبر والسكاكين[5] .

وقد اشتهر المغرب الأوسط بكثرة بيع الرقيق حيث شكل نشاطا يوميا[6]، سواء عن طريق الغزو أو الاستيراد، فقد كان الميورقيون وسطاء لهذه التجارة وكانت لهم رحلتان إلى بلاد الروم يجلبون فيها العبيد ويبيعونه، وقد أصبح التجار الميورقيون أثرياء من وراء تلك التجارة[7].

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص: 225.

[2] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي بيروت، د.س، ج2ص 333

[3] عزالدين احمد موسى: مرجع سابق ص:220

[4] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 145.

[5] مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص: 334.

[6] عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب الإسلامي: مؤسسة الانتشار العربي بيروت،2004 م، ص: 476.

[7] عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص: 118.

ونظرا لتفشي ظاهرة بيع السبي أصدر عبد المؤمنبن بن علي أمرا لتنظيم بيع الإماء حفاظا على الأنساب من الاختلاط، وذلك بواسطة أمناء يختارهم نظار الأسواق[1].

وحرصا من الموحدين على سلامة أموال التجار الأجانب وضمانا لتحصيل الضرائب منهم كان البيع والدفع يتم عن طريق ديوان الأشراف، والمشرف هو المسؤول عن التجار الأجانب في كل مدينة[2]، وقد كان التبادل التجاري يخضع لمبدأ الثقة بين تجار الطرفين مع دفع تسبيق عن السلعة أحيانا، وتكتب العقود بين البائع و المشتري في حالة الدين [3].

وكان التعامل في مغرب الموحدين بالدينار البيزنطي في التجارة الخارجية، رغم أن الدولة الموحدية قد ضربت الدنانير الذهبية من أجل المعاملات في الصفقات التجارية[4]، وذلك الضعف في عملة الموحدين ربما يعود إلى أنهم لم يستطيعوا استخراج الذهب من باطن الأرض المغربية[5]، وكذلك تحويل الذهب إلى مصاريف حركة الجهاد الإسلامي ضد النصارى[6].

فعند ظهور دولة الموحدين سن لهم المهدي بن تومرت اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه[7]، وهذا التغيير جاء لمخالفة عملة المرابطين، فقد ضربت الدراهم الموحدية في جزائر بني مزغنة بين سنتي (558 -640 هـ) / (1162 – 1269 م)، وفي بجاية (547 -551 هـ/ 1152 – 1156 م) و (558 – 640 هـ) / (1162 – 1242 م) [8].

[1] رسائل موحدية، ج[2] ص: 240.
[2] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص: 278.
[3] رسائل موحدية، ج 2ص: 240.
[4] عبد النبي بن محمد، المرجع السابق، ص: 44
[5] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص: 304
[6] عبد النبي بن محمد، المرجع السابق، ص: 44
[7] ابن خلدون، ج1 المصدر السابق، ص: 324
[8] عبد النبي بن محمد، المرجع السابق، ص ص:58 59.

ورغم التدفق الكبير للذهب إلا أن قيمة عملة الموحدين قد قلت في السوق، كما توقف سك النقود في بعض دول الضرب أدى إلى ضعفها وهذا ما يدل على أن الموحدين دخلوا في أزمة اقتصادية ولم يخرجوا منها إلا والمغرب الإسلامي مفكك إلى العديد من الدول.

المبحث الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية.

لقد اعتنى الموحدون بالتجارة الدولية مما جعلهم ينظمون معاهدات تجارية مع أوربا والمدن الايطالية خاصة[1]، التي كانت في بدايتها شفوية ثم تطورت لتصبح كتابية[2]، وهذا كله بفضل اهتمام الدولة الموحدية بمجال التبادل التجاري. حيث ان الموانئ المغربية كانت مقصدا للتجار الجنويين وقد ظل هؤلاء التجار على ذلك الحال إلى سنة 547 هـ/ 1152 م)[3]، أين توطدت فيها العلاقات التجارية بين الجنويين والموحدين، و هذا ما ساعد الموحدين في ما بعد على توثيق علاقات تجارية مع بعض المدن النصرانية الأخرى، وذلك سنة (556 هـ/ 1159 م) أي بعد بسط الموحدون سيادتهم على المغرب الإسلامي ببضع سنوات، حيث سمحوا للتجار النصارى من أهل كتالونيا (مملكة أرغونة) وأهل إيطاليا وبروفانس أن يستقروا ببجاية وغيرها من المناطق الأخرى في المغرب الأوسط[4].

إن الاتفاقيات الموحدية مع جنوة وبيزا تشير بوضوح إلى تفضيل جنوة على بيزا، و على أساس هذه السياسة كان الجنويون لا يعتدون على مراكب المسلمين، ومن فعل منهم شيء من ذلك عاقبوه، وقد نوهت الوثائق الرسمية بسلوكهم، فمنحهم الموحدون سنة (555 هـ/ 1160 م) امتيازات خاصة، إذ سمحوا لسفن جنوة بالاتجار في كل المراسي، وخفضت عن تجارها العشور (10 %)، بحيث الإيطاليون إلا ب 8%، باستثناء مرسى بجاية حيث كان على التجار دفع العشر على أن يذهب الفرق بينهم وبين الامتياز إلى مدينة بجاية، وقد جدد هذا الاتفاق مرتين سنة (571 هـ/ 1176 م) و(587 هـ/ 1191 م)[5].

رغم أن التجار الجنويين كانت لهم إمتيازات وفرص أكثر من غيرهم، غير أن ذلك لم يمنع الموحدين من إمضاء معاهدة سلم وتجارة سنة (562 هـ / 1166 م) مع بيزا، على عهد أبي يعقوب

[1] رسائل موحدية،مصدر سابق، ص: 240.

[2] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 114.

[3] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص: 398.

[4] إدريس الهادي روجي، المرجع السابق، ص: 297.

[5] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص: 276.

يوسف (559 هـ-1184 م) جددت فيها الإمتيازات التي تحصلوا عليها في تونس سنة (552 هـ / 580- هـ/ 1157 / 1185 م).[1]

كما عقدت اتفاقيات بين المسلمين و المسيحيين تنص على منع بيع الأسرى، وتوجب إعادتهم إلى بلادهم بمجرد ما تعرف جنسياتهم، وقد عقدت هذه الاتفاقيات سنة (6هـ-12 م) (580 هـ - 596 هـ/ 1199م) وفي عام (582 هـ / 1186 م) أبرم السلطان الموحدي يعقوب المنصور اتفاقا جديدا مع بيزا كانت شروطه قاسية، منها التأكيد على منع القرصنة، وألا يتاجر أهل بيزا إلا في سبتة ووهران وبجاية وتونس، أي حددت لهم المراسي التي يتاجرون فيها في المغرب الإسلامي[2].

بالرغم من أن الشريط الساحلي كان مليئا بالموانئ التي يمكن المتاجرة فيها والربح. وألا ينزلوا ساحلا إلا لضرورة، وألا ينزلوا ألمرية إلا لإصلاح سفنهم، وألا يحملوا في سفنهم أحدا من المسلمين، ومن خالف شرطا من هذه الشروط من تجارهم فدمه مباح[3]، وهذا الشرط الأخير يدل على المسؤولية الشخصية فيفي الجرائم، وقد دام هذا الإتفاق 25 سنة ، قبل أن يجدد سنة (608 هـ / 1211 م).

[1] سماعيل العربي: المرجع السابق، ص: 346.

[2] سماعيل العربي: المرجع نفسه، ص: 44.

[3] عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص: 181،182

المبحث الثالث: الطرق التجارية البحرية.

إن الحركة التجارية البحرية لم تكن منتظمة، سواء على الصعيد الاقتصادي المتمثل في الشروط الموقعة بين التجار، أو لظروف طبيعية كالرياح والأمطار، أو فترات الحروب البحرية خاصة منها، حيث تتعرض السفن التجارية إلى أعمال القرصنة من نهب وسلب وسبي، كذلك ارتبطت بمدى توفر البضائع وعدد المسافرين خاصة في مواسم الحج، نحو مكة المكرمة (بيت الله الحرام) بالنسبة للمسلمين، والبقاع المقدسة في القدس بالنسبة للمسيحيين[1].

لقد ساعد التحول نحو الساحل إلى ظهور مراكز التجارة فيها وأصبحت ملتقى للطرق البحرية كسوسة وتونس وبجاية ووهران التي كانت محطة تجارية في ذهاب وإياب القوافل الأوربية نحو الأندلس[2]. حيث تعددت الطرق البحرية منها ما كان طريق مباشر عبر الجزر وموانئ أوربا من إيطاليا، و منها من كان طريق مباشر يمر عبر موانئ الساحل الإفريقي، حيث كانت تجهز القوافل الأوربية في مدينة ليدو وتغادرها إلى مدينة طرابلس، ومن هناك تأخذ طريقها إلى وهران عبر موانئ تونس و بجاية، وهذه الأخيرة كان لها خط تجاري مباشر نحو ميورقة خاصة تجارة الرقيق[3]، وتحط رحال تلك السفن في جزائر بني مزغنة التي أستعمل طريقها نحو ميورقة في عهد الناصر الذي حرك أساطيله باتجاه ميورقة للقضاء على ابن غاينة، ثم شرشال و تنس ومستغانم، وعندما وصل إلى وهران مكث بها عدة أسابيع للراحة والتبادل التجاري، ثم تواصل سيرها إلى مدينة ألمرية الساحلية بالبلاد الأندلسية آخر محطة لها في الذهاب، ومحطة ألمرية كانت أهم مركز تجاري وآخر محطة بالنسبة للكثير من التجار والسفن التجارية، وذلك حسب الاتفاقيات المعقودة خاصة مع تجار بيزا، وفي طريق العودة تغادر هذه القوافل من وهران

---

[1] المرجع، نفسه :ص: 319.

[2] ، سماعيل العربي: المرجع ص ص: 44،45.

[3] الغبريني: المصدر السابق، ص ص: 45 46.

مباشرة إلى البلدان الأوروبية، أو عبر مستغانم و تنس وشرشال وجزائر بني مزغنة، بجاية وجيجل وعنابة وتونس والحمامات وسوسة والمهدية وصفاقس وجربة وطرابلس ومالطة وصقلية[1].

وقد كانت هناك حركة تجارية بين المغرب الإسلامي والمشرق، سواء بواسطة التجار الأوربيين أو اليهود أو مباشرة بين تجار المغرب الإسلامي وتجار المشرق، حيث كانت هناك حركة تنقل بين تجار المغرب وميناء بجاية خلال النصف الثاني من القرن (06 هـ/ 12 م)، وكذلك كانت سفن ومراكب الروم تحط في بجاية ثم تقصد الإسكندرية مباشرة، أو من ميناء بجاية الذي لعب دور هام كمحطة أساسية في طريق الذهاب أو العودة من المشرق، حيث يمر هذا الطريق عبر وهران، بجاية، الإسكندرية، حلب، أو سبتة، بجاية، مرسيليا، الإسكندرية[2].

ومنه يتضح أن هذه القوافل ترتاد نفس الموانئ الكبيرة والهامة في طريق الذهاب كما العودة، غير إنها في طريق العودة تزيد على ذلك بمحطات أخرى أو تنقص، وربما كان يتحكم في ذلك الظروف الطبيعية، أو أعمال القرصنة، أو أعطاب في السفن ترسوا في أقرب ميناء من أجل الإصلاح حتى إن لم يكن ضمن الموانئ التي حددت في الاتفاقيات المبرمة بين الأوربيين والموحدين، أو من أجل تصريف المنتوجات بغية زيادة الأرباح المتحصل عليها، وهذا ما كان على كل تاجر العمل عليه[3].

[1] غلام عبد الله: المرجع السابق، ص: 46.

[2] لطفي بن ميلاد: إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/ 11 م إلى مطلع القرن 10 هـ/ 16 م، المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب، تونس2011 م، ص: 236.

[3] المرجع نفسه، ص:47.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط وأوربا، توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- كانت العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط وأوربا مزدهرة من خلال المبادلات التجارية ونشاط حركة الصادرات والواردات.

- لعبت المعاهدات التجارية والاتفاقيات الإقتصادية الموقعة مع المماليك النصرانية دورا كبيرا في جلب التجار الأوربيين خاصة مع ضمان أمنهم وممتلكاتهم إضافة الى حماية وتأمين الطرق البحرية.

- كان لامتداد الرقعة الجغرافية وطول الشريط الساحلي إضافة إلى وفرة المراسي والموانئ أثر كبير في زيادة حجم المبادلات التجارية كما لعبت المراكز الإقتصادية دور في تنظيمها.

- تنوع الصادرات والواردات وعدم اقتصارها على سلع ومنتوجات معينة ما عدا الحظر الذي فرض أحيانا على جلب الأسلحة.

- عدم تأثر المبادلات التجارية رغم التوترات السياسية بين القطرين أحيانا.

- وعن الواقع الإقتصادي بالمغرب الأوسط فقد حظيت الفلاحة بإهتمام كبير ما أدى إلى تنوع في المحاصيل والمنتوجات الزراعية. إضافة الى توفر عوامل قيام صناعات متعددة ومختلفة، كما شهد نشاطا لحرفيين كانت لهم مهارات عالية اكتسبوها عن طريق احتكاهم بالتجار الأجانب.

- كلها عوامل ساهمت في إقامة علاقات اقتصادية مع الدول والمماليك الأروبية قائمة على تنوع تجاري متبادل.

قائمة المصادر والمراجع

أ-المصادر:

1. ابن الاثير (ابي الحسن علي)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، طبعة1.
2. ابن ابي زرع (الفاسي)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
3. ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين)، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام، تحقيق وتعليق احمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، دار الكتب، دار البيضاء، 1964.
4. ابن الخطيب (لسان الدين) الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله حنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977.
5. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي النصيبي) صورة الأرض دار مكتبة الحياة لطباعة والنشر، لبنان، 1417هـ/ 1996.
6. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن) المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2007.
7. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جزء 6، دار الكتب العلمية، لبنان، 1968.
8. ابن خلكان (ابي العباس شمس الدين احمد ابن محمد ابن ابي بكر)، وفيات الأعياد وانباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، 1968.
9. ابن رشد، الفتاوى، تحقيق المختار التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
10. ابن عذارى (المراكشي)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني واخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
11. ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مديولي، القاهرة، 1988، طبعة 1.

12. الادريسي (أبو عبد الله محمد الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، د. س.

13. البكري (أبو عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. س.

14. الحميري (محمد ابن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مطابع هيد لبرغ، بيروت، 1975، طبعة 1.

15. الخربطولي (علي الحسني)، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، 1972.

16. رسائل موحدية، تحقيق احمد العزابي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2001.

17. الزهري (ابي بكر)، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. س.

18. الغبريني (أبو العباس احمد ابن احمد)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق، بيروت، 1979.

19. المراكشي (عبد الواحد ابن علي)، المعجم في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، 1963.

20. المقري (احمد ابن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غسن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

21. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

22. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر،زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1979.

23. النويري (شهاب الدين احمد ابن عبد الوهاب)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق عبد المجيد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. س.

24. الونشريسي (ابي العباس احمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1982.

25. ياقوت الحموي (شهاب الدين)، معجم البلدان، م2، دار صادر بيروت، 1997، طبعة 1.

ب-المراجع:

1. أبورميلة (هشام)، علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدولة الإسلامية في الاندلس، ج2، دار الفرقان، الاردن، 1984.
2. إسماعيل (العربي)، دولة بين حماد (ملوك القلعة وبجاية)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
3. برويبة (رشيد)، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
4. بن قربة (صالح)، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي الى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
5. بن مليح (عبد الاله)، الرق في بلاد المغرب الإسلامي، مؤسسة النشر عربي، بيروت، 2004.
6. بن ميلاد (لطفي)، افريقيا والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/ 11م الى 10هـ /16م المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 2011.
7. جودت (عبد الكريم يوسف)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 و4 هـ / 8 و11م، دوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
8. الجيلالي (عبد الرحمن ابن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، لبنان، 1400هـ، 1980.
9. حاجيات (عبد الحميد)، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في المغرب الأوسط، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007.
10. الحريري (محمد عيسى)، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس، (160 – 269 هـ)، دار القلم، الكويت، 1987، طبعة2.
11. الدراجي (بوزيان)، القبائل الامازغية (أدوارها – مواطنها-أعيانها)، ج2، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007.
12. زغلول (عبد الحميد سعد)، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيين إلى قيام المرابطين، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

13. الصلابي (علي محمد)، صفحات من التاريخ الإسلامي، (دولة الموحدين)، دار البيان للنشر، عمان، 1992.

14. الطيبي (امين توفيق)، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن 6هـ / 12م، المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1987.

15. عصام الدين (عبد الرؤف التقي)، تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1982.

16. علام (عبد الله)، الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، طبعة 1.

17. عمارة (علاوة)، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر، ضمن كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 2008.

18. عمورة (عمار)، الموجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، 2002.

19. عنان (محمد عبد الله)، دولة الإسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، طبعة 2.

20. عويس (عبد الحليم)، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، شركة سوزان للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1991، طبعة 2.

21. غلاب (عبد الكريم)، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ، طبعة1.

22. موسى (عز الدين أحمد)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، بيروت، 1983.

23. الميلي (محمد مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. س.

24. نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، طبعة 2.

المراجع المترجمة:

1. إدريس (الهادي روجي)، الدولة الصنهاجية بتاريخ افريقيا في عهد زيري من القرن 10 الى 12م، ج2، ترجمة حماد ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ،1992، طبعة 2.
2. بلوك (مارك)، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق إسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطابع دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، 1965.
3. بيرنيان (اندري)، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة استنبولي رابح، منصف عاشوري، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1984.
4. شارل (اندري جوليان)، تاريخ شمال افريقيا من لفتح الى 1830، ترجمة محمد مزالي البشير، الدار التونسية لنشر، تونس.

ج–الرسائل الجامعية:

1. موسى يعام، الجيش في العهد الحمادي، (504هـ 547هـ) رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2000–2001.
2. عز الدين عمر احمد موسى، الموحدون نظمهم وتنظيماتهم، رسالة مقدمة الى دائرة التاريخ في الجامعة الامريكية، بيروت، 1969.

فهرس الموضوعات

الصفحة **المـوضــوع**

بسملة

دعاء

إهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ-د

الفصل تمهيدي: لمحة عن جغرافية ودول المغرب الأوسط..... 06

المبحث الأول: الحدود الجغرافية لبلاد لمغرب الأوسط 06

المبحث الثاني: تأسيس الدولة الحمادية..... 09

المبحث الثالث: تأسيس الدولة المرابطية..... 12

المبحث الرابع: تأسيس الدولة الموحدية..... 16

الفصل الأول: العلاقات الاقتصادية للدولة الحمادية مع أوربا..... 21

المبحث الأول: الفلاحة..... 21

المبحث الثاني: الصناعة..... 23

المبحث الثالث: المبادلات التجارية..... 27

الفصل الثاني: العلاقات الاقتصادية بين المرابطين وأوربا..... 31

المبحث الأول: الزراعة..... 32

المبحث الثاني: الصناعة..... 39

المبحث الثالث: التجارة الخارجية..... 43

المبحث الرابع: المبادلات التجارية مع أوربا..... 45

الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية بين الموحدين وأوربا..... 49

المبحث الأول: المبادلات التجارية..... 52

المبحث الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية..... 56
المبحث الثالث: الطرق التجارية والبحرية..... 58
خاتمة 61
قائمة المصادر والمراجع 64
المراجع المترجمة..... 70
فهرس الموضوعات..... 71